نوفمبر ٢٠٢٥ - العدد ٢٩

همنا
مجلة كل العرب



ذكرى حرب اكتوبر المجيدة



رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
عصمت ضيف الله الملهطاني

المستشار الإعلامي
شيخ الصحفيين د. عيد وحيده

الحاصلون على نجوم ذهبية


شيخ الصخفيين د. عيد وحيده



م. محمود الفحام



أ. حسني جرامون



المستشار ناجي بو المسمارية



الأديب أ. عبد الله أبو زوير



أ.د إبراهيم العايش



الأثري أ. عبد الله موسى لعشيبي



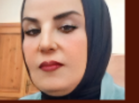
أ.د حسن شعبان



د. خالد الزغيبي



الأديب أ. قدوره العجني



الكاتبة صابرين الصباغ



د. رمضان ياسين


الحصول على نجمة ذهبية يتطلب أن يستمر الكاتب في كتابة مقالات معتمدة ومراعى فيها الملكية الفكرية وقابلة للنشر دورة كاملة



مجلس الإدارة




نهنىء المستشار ناجي بو المسمارية لحصوله على النجمة الثانية هذا العدد

هلنا
مجلة كل العرب

تعريف بالسادة اصحاب المقالات هذا العدد بناءا على ترتيب المقالات هذا الشهر



المستشار ناجي بو المسمارية
عضو لجنة التراث بمطروح ورئيس قسم التراث البدوي بمجلة هلنا



أ.د. إبراهيم العايش
أستاذ العلوم السياسية بجامعة سرت بليبيا



أ. حسني جرامون
رئيس القسم الاجتماعي بمجلة هلنا و الصحفي بالميدان



م. محمود الفحام
مهندس وشاعر وعضو اتحاد الكتاب ورئيس القسم الادبي بمجلة هلنا



د.م إبراهيم شعبان
كبير مهندسي صناعة السفن في مصر واليابان وأوربا



د. فايز البتانوني
أستاذ بجامعة الأزهر وجامعة عمر المختار



د. عيد وحيده
شيخ الصحفيين وعضو الهيئة العليا للصحافة العربية والمستشار الاعلامي لمجلة هلنا



أ. محمود خليل
كاتب ومؤلف وباحث في الدراسات الشعبية



د. سيد شعبان
أديب وروائي - دكتوراة كلية دار العلوم



أ. عبد الله موسى لعشيبي
مدير الآثار الإسلامية والمسيحية بمطروح



أ. عبد الله أبو زوير
أديب وروائي ومدير عام ببنك مصر سابقًا و عضو اتحاد الكتاب



عصمت ضيف الله الملهطاني
رئيس مجلس إدارة وتحرير مجلة هلنا



إقرأ في هذا العدد

همنا
مجلة كل العرب

هلنا
مجلة كل العرب

وقف الحرب في غزة و ذكريات أكتوبر

الحمد لله. لقد أسعدني وأفرحني وقف القتال في غزة، وفرحة أهلها وسط كل تلال الأحزان وسحبها المحيطة بنا. يا رب تدوم فرحتهم وتسعدهم، وإن شاء الله يكون وقفًا حقيقيًّا وليس مجرد تكتيكات وكسب للوقت للإفراج عن الأسرى فقط، أو للتخلص من ضغوط الرأي العام المحلي والعالمي .

المستشار
ناجي بو المسمارية
رئيس قسم التراث البدوي بمجلة هلنا









الحمد لله. لقد أسعدني وأفرحني وقف القتال في غزة، وفرحة أهلها وسط كل تلال الأحزان وسحبها المحيطة بنا. يا رب تدوم فرحتهم وتسعدهم، وإن شاء الله يكون وقفًا حقيقيًّا وليس مجرد تكتيكات وكسب للوقت للإفراج عن الأسرى فقط، أو للتخلص من ضغوط الرأي العام المحلي والعالمي. إن شاء الله يصدقوا الدور إخواننا بنو قريظة! وهذه المرة لدي بعض التفاؤل؛ لأننا في شهر أكتوبر، وهو بالنسبة لي شهر الانتصارات، ومن أحب الشهور إلى قلبي. لنا فيه ذكريات جميلة على المستوى الشخصي والعام، مرتبطة في ذهني بالانتصارات.

وبالعكس من ذلك، كان شهر يونيو كئيبًا. فله أيضًا في نفسنا ذكريات، لكنها حزينة. فلا أزال إلى اليوم أتذكر حرب ٥ يونيو ١٩٦٧. ورغم صغر سني حينها – فقد كان عمري ست سنوات – إلا أنني أتذكرها لأن يوم الحرب كان فيه فرح ابن عمتي. أتذكر الزفة بسيارة فورد سوداء (خنفساء) كبيرة، وبعد وصولنا بقليل، وجدت الشيوخ يتحلقون ويتهامسون حول راديو، ويكبرون ويهللون مع أول البيانات التي كانت تنقل سير المعركة بصوت أحمد سعيد.

كان يقول: "لقد أسقطنا عشرات الطائرات، ودمرنا عشرات الدبابات، ووصلنا إلى مشارف حيفا!" وبعد قليل، تحول الفرح إلى حزن عميق وبكاء وعويل. كانت أول مرة أرى دموع والدي وأعمامي وأجدادي، وأرى كم أثرت تلك الانكسارة عليهم. لقد كانت البيانات غير صحيحة، ولا أحد كان يريد أن يقول "هزيمة"، كانوا يقولون "انكسارة" أو "نكسة". ولم أعرف سبب تحولهم الكبير من الفرح إلى الحزن إلا بعد ذلك.

ثم كبرنا قليلاً، وجاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ فشفت صدورنا وغليلنا. كنت حينها في أول أيام الدراسة بالمرحلة الإعدادية. وكانت المدرسة الوحيدة بمركز ومدينة مطروح هي مدرسة الشهيد المعناوي الإعدادية (وكانت الثانوية أيضًا مدرسة واحدة بمركز مطروح، وأخرى بمدينة الحمام، وثالثة بمدينة

همتنا
مجلة كل العرب

(السلوم). أما براني والضبعة وسيوة، فكانوا يدرسون المرحلة الثانوية بمطروح.

أتذكر طلاء زجاج الفصول بالأزرق، وتم إيقاف الدراسة لفترة حتى انتهاء الحرب. وكانت الفرحة عارمة، والناس يوزعون الشراب والحلوى في الشوارع، وكان الجميع فرحان. وكنا نعيش بمطروح جاليات كبيرة ليبية وسودانية وأخرى من إريتريا والصومال، حتى أن نصف طلبة الفصل تقريبًا كان من الجالية الليبية والسودانية، ولا أزال أتذكر الكثير منهم. وكان الجميع يتبادلون التهاني، والفرحة كانت عارمة.

وأثار هذا النصر قريحة الشعراء فجادت ببعض الدرر، منها قصيدة للشاعر الكبير حمزة عكوش العشيبي، فقال قصيدته الشهيرة:

يا مصر أعلامك مرفوعة
فيك أسبوعه منهم على الطاغي ممنوعة
أرضك ممنوعة على الطغيان
يحاموك أبطال صناديد
استهزاء بك موشيه دايان
وكم جنبك جيش عديد
يريدوك مقر الخيان
وفاتوك بلا شرط وقيد
كله حلفاء وروح شرطان
خذوا علقة ناضو غريد
نهار العاشر في رمضان
وستة في أكتوبر المجيد
الله نصرنا على الشيطان
اللي مقلوعة عينه
لأن عطاه الطوعة
يا مصر أعلامك مرفوعة
فيك أسبوعه منهم على الطاغي ممنوعة
يا مصر أعلام التحرير ترفرف فوقك بانظام
أنت مأثور فيك دعاء خير قديم يفكك من الظلام
ونحنا نلنا صبر وخير
وكل خشوعة
ربي مشانا في طوعه

همهمة
مجلة كل العرب

وكانت في تلك الأيام حب البلاد، والحزن لحزنها، والفرح لفرحها، ديدن الجميع. فلا أحد كان يشمت في هزيمتها أو تعثرها. الله يرحم الشاعر حمزة عكوش، ويرحم شهداء أكتوبر وكل حروبنا، ويلحقنا بهم في جنات النعيم بإذن الله.

والمثل يقول: "مافيش طَهارة من غير دم."









هلنا
مجلة كل العرب

الصمت





أ. حسني جرامون

رئيس القسم الإجتماعي
بمجلة هلنا

الصمت زين، والسكوت سلامة، فإن نطقت فلا تكن مِدرارًا، فإن ندمت على السكوت مرة فلتنَدَمِنَّ على الكلام مرارًا.
سأصمت هذه الأيام عن أشياء كثيرة حتى أرتاحَ بلَها سياسة، بلَها كلام.

الصمت لغةٌ عميقة تحمل في طياتها الكثير من المعاني والدلالات. يمكن أن يكون الصمت وسيلةً للتعبير عن الحكمة، أو وسيلةً للهروب من مواجهة المواقف الصعبة. في بعض الأحيان، يكون الصمت أبلغ من الكلام؛ حيث يمكن أن يعبر عن مشاعر لا يمكن وصفها بالحديث.
الصمت ليس ضعفًا، بل يمكن أن يكون قوةً؛ حيث يختار الشخص التزام الصمت ليتحكم في ردود أفعاله ويحافظ على هدوئه في مواجهة التحديات. في زمنٍ يتسم بالضجيج والكلام الكثير، يأتي الصمت كملاذٍ للروح؛ حيث يمكن أن يجد الإنسان فيه السلام الداخلي والتوازن النفسي.

الصمت يتيح لنا فرصةً للاستماع إلى أنفسنا والتفكير بعمق في أمور حياتنا. من خلال الصمت، يمكننا أن نعيد اكتشاف ذواتنا ونفهم مشاعرنا وأفكارنا بشكلٍ أفضل. كما يمكن أن يكون الصمت وسيلةً للتواصل غير اللفظي؛ حيث يمكن أن يعبر عن الحب والاحترام والتقدير بطرقٍ لا تحتاج إلى كلمات.
في العلاقات الإنسانية، يلعب الصمت دورًا مهمًا في تعزيز التفاهم والتواصل. عندما يتحدث شخصان، يكون الصمت بينهما فرصةً للاستماع والتفكير في الرد، مما يعزز فهم كل طرف للآخر. كما يمكن أن يكون الصمت وسيلةً لتجنب المشاكل والخلافات؛ حيث يمكن أن يمنع الكلمات الجارحة من أن تُقال في لحظات الغضب.

ومع ذلك، قد يكون الصمت أيضًا وسيلةً للهروب من المواجهة، أو وسيلةً للتعبير عن الرفض أو الاستياء. في بعض الأحيان، يمكن أن يكون الصمت قاسيًا عندما يُستخدم كعقابٍ أو كوسيلةٍ للتلاعب بالآخرين. لذلك، من المهم أن نفهم متى يكون الصمت مناسبًا ومتى يكون ضارًا. الصمت هو لغة العظماء، ويمكن أن يكون وسيلةً قوية للتعبير عن المشاعر والأفكار:

- الصمت يمنحك القوة: "الصمت يمنحك طاقة قوية للتفكير بعمق في كل ما يحصل حولك، والتركيز بعقلانية على إجابتك".
- الصمت أبلغ من الكلام: "رُبَّ سكوت أبلغ من كلام"، و"صمتك حتى تُستَنطَق أجمل من نطقك حتى تسكت".
- الصمت يعلّم حسن الاستماع: "الصمت يعلّم الإنسان حسن الاستماع الذي يفتقده الكثيرون".
- الصمت زينة للعاقل: "الصمت زينة العلم وعنوان الحلم"، و"الصمت آية الحلم".
- الصمت يكسوك الوقار: "صمتٌ يكسوك الوقار خير من كلامٍ يكسوك العار".

همنا
مجلة كل العرب



- "في السكون غناء جميل، في الصمت دهشة أصوات. حين تجلس وتصمت، تكون تخترع أوتارًا جديدة".
- "وأتأمل قلبي المحزون عندما يصبح الصمت بلاغة العاشق القصوى".
- "نُهَدهد الليل على كتفي بستان اللوز، وكان الصمت نبيًّا! طرب بالكون، ومن لا يطرب بالكون غبي".
- "إذا تكلمت بالكلمة ملكتك، وإذا لم تتكلم بها ملكتها".
- "عثرة القدم أسلم من عثرة اللسان".
- "داوُوا الغضب بالصمت، والشهوة بالعقل".
- "لا تتحدث بما لا تعرف".
- "الصمت هو العلم الأصعب من علم الكلام".

في النهاية، الصمت هو فنٌ يحتاج إلى توازنٍ وتفهمٍ لدلالاته. يمكن أن يكون الصمت وسيلةً قويةً للتعبير عن المشاعر والأفكار، أو وسيلةً للهروب من الواقع. المهم هو أن نعرف متى نصمت ومتى نتكلم، حتى نستطيع أن نستخدم الصمت بشكلٍ إيجابيٍ وفعالٍ في حياتنا اليومية، كي لا نخسر أقرب الناس، أو ندخل في متاهات مع مراهقين سياسيين.

همتنا
مجلة كل العرب

خرابيش المساء



د.م إبراهيم شعبان

جلس الشيخ الوقور - خريج الأزهر ورئيس القضاء الشرعي في الريف - كعادته في إجازة القضاء الصيفي عام ١٩٥٨م، وما قبلها وما بعدها.. وهو محبوب من كل القلوب في هذها لبلدة، وفي عزبته التي يملك أرضًا فيها يفلحها أخوه "شبه الأزهري" وأولاده الكبار،الذين أخرجهم من "الجهادية" لظروفهم الصحية... والتي لا تمنعهم من العمل الشاق في العزبة... فأحدهما أقرع، والآخر بعينه اليمنى ما يشبه العَوَر.

همسنا
مجلة كل العرب

كانت للشيخ الكلمة الفاصلة في أمر أي فتوى تحتاجها ظروف القرية، فيتهافت عليه يوميًا- من قريب أو بعيد - من يحتاج إليها، وهو فعلاً مُكلَّف شرعًا - بصفته عالمًا بشؤون الدين - بالفتوى في مجاله وبين قومه.. كان من عادة الشيخ أن يجلس بين العصر والمغرب أمام منزله على إحدى الحصر، متكئًا على بعض المساند المخصصة له، ومستندًا إلى حائط منزله، وأمامه الجرن الفسيح وشجرة التوت العتيقة التي تقطنها مئات من العصافير واليمام، واثنان من الخيل يتمتعان بظلها، أحدهما مخصص له خاصة في وجوده. وأمامه الطريق العام والترعة العمومية تجري فيها المياه الداكنة أيام الفيضان والصافية جدًا أيام الغلق، وممتلئة بالإوز وبعض البط... بينما أشجار الصفصاف تتلامس بعض فروعها على سطح المياه متحركة مع الريح الهادئ، وكأنها تتراقص وتغازل أفواج الإوز العائمة على المياه حولها،في منظر بديع خلاب يملأ النفس بالسكينة.

هنا يلتف حوله الكثير من رجال القرية، يشربون معه شيئًا من الشاي الذي يشبه لونالحبر بعد أن يترك يغلي على الكانون ما شاء الله، حتى تتذكره القائمة عليه فتضع عليه حفنة من السكر أو اثنتين حسب اتساع كف يدها.. تقدمه للجميع معه بعض الكئوس الصغيرة جدًا.. وعلى أحد الجالسين أن يقوم بصبه وتوزيعه، وربما يتمكنون من شرب الدور الثاني، وهو إعادة وضعه - بما فيه من ثُفل الشاي - مع بعض المياه مرة أخرى وبعض السكر، وهنا يظهر بلونه الطبيعي...يجلس الجميع في أدب جمّ، يستمعون إلى الشيخ في كافة القضايا التي تهم الكثيرين،ولا حرج في أن يسأله سائل عن علاقته بزوجته، أو الرغبة في زواج الثانية التي كان يمقُتها كثيرًا، فهو لم يتزوج إلا بنت عمه ورُزق منها ومكتفٍ بذلك... فهو من أنصار عدمالتعدد، وإن كان لا يُجرمه ولا يحرمه...
كان من عادته عندما يصل إلى العزبة بالعربة الأجرة، ألا يدخل إلى منزله قبل أن يمر على جميع البيوت،

همهمة
مجلة كل العرب

سأله أحدهم سؤالاً سخيفًا عن حاله مع زوجته، وقال: إن أحد المشايخ أفتى له بطلاق زوجته - وكانت من أقارب شيخ الجامع الذي كان كارهاً للزوج وله في نفسه حاجة - فهيناصعة البياض، ممتلئة قليلاً، ومبتسمة الوجه، مكتحلة العينين الواسعتين، ولا ترتدي سوى الملابس الزاهية الألوان، وإذا ما تحركت حاملة "الزَلَعَة" فوق رأسها، فهي تتهادى بلطف ويهتز معها كل مقومات الأنوثة من الأمام والخلف، وها هي قد دخلت قلبه وجلست ونبضت داخله حتى كادت تمزقه،
وكأنها ستخرج من صدره عندما رآها، وكأنه يراها لأول مرة متفحصًا إياها ضاربًا كفًا بكف، وهي تملأ زلعتها من الترعة كاشفة عن ساقيها إلى الركبة، وربما أعلى قليلاً حتى لا تتبلل ملابسها. وهو لم يكن يراها كذلك قبل الزواج، مقارنًا بينها وبين زوجته الكئيبة في رأيه، "أم العيال" فِي بهدلتها أمام الكانون، متصببة عرقًا من النفخ في النار، ولا يدخل عليها إلا بتحيته المعهودة: (أعوذ بالله) متنفلاً شمالاً ويمينًا قبل أن يقول: السلام عليكم... هنا وَدَّ أن يسمع منه أن يقبل هذا الرأي، وقد قص عليه قصة زيد وزينب وما كان..

فما كان من شيخنا القاضي أن ينهاه أو يوافق على رأي شيخ الجامع، أو يسفّه رأي الشيخ أو ينتقده، لكنه ابتسم وتمدد وحكى له قصة بسيطة، قال: "اسمع مني هذه الحكاية وتصرف كما شئت، أنا لا آمرك ولا أنهاك...
استفتى رجل من القرية شيخها وقال له: يا سيدي الشيخ، لقد بال كلب أسود من كلاب الجيران على الحائط، فماذا أفعل؟... فأجابه الشيخ بثقة بالغة بعد أن قرأ عليه بعض الأحاديث عن أبي هريرة، وأطال في الأحاديث، ثم قال:



لذلك يجب عليك شرعًا هدم الحائط وإعادة بنائه مرة أخرى، مع قتل الكلب الأسود حتى لايكررها مرة أخرى... هنا أصاب السائلَ الوجوم، وبعد تفكّر انبرى قائلاً: أنا أحتاج منك سيدي الشيخ إلى نصف ثمن البناء والهدم؛ لأنها الحائط التي بين دارينا، فأنت النصف وأنا النصف... هنا التفت الشيخ إلى السائل وقال: مالك تسألني عن التوافه من الأمور؟ وقليل من الماء يكفي لتطهيرها، اذهب واغسلها ببعض الماء وكفى.. وبلاش وسوسة..."

فضحكتُ، وضحك القاضي والسائل، وضحك الجميع، وشربوا دور الشاي الثاني،وانصرفوا يتضاحكون من غير وسوسة...

هلنا
مجلة كل العرب

ذكرى حرب اكتوبر المجيدة





د. عيد وحيده

شيخ الصحفيين
المستشار الإعلامي لمجلة هلنا





يَحتفل المصريون بالذكرى الـ (إثنين وخمسين) لحرب أكتوبر المجيدة، في الوقت الذي يُخوض فيه الشعب المصري حربًا شرسة ضد افتراءات وشائعات أهل الفتنة والضلال، غير عابئين " بالسهام المسمومة التي تَبُثُّها تلك القنوات المأجورة، ولسان حال الشعب "مُوتوا بغيظكم".

همتنا
مجلة كل العرب

سنحتفل بذكرى حرب استطاعت تحطيم أسطورة أعتى الجيوش الذي قيل عنه في يوم من الأيام إنه جيش لا يُقهر، لكن أراد الله أولاً ثم المصريون، أن تجتمع الروح القتالية والدبلوماسية الرائعة، حتى يرفرف العلم المصري خفاقًا على أرض الفيروز، ويقف التاريخ أمام تلك الحرب مُعظِّمًا، وتبقى مصر محروسة دائمًا وأهلها في أمن وأمان، كما ورد في الكتاب الحكيم: "وَادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ".

ولهذا، فإن رسالتنا لأهل الفتنة والضلال، أثناء احتفالنا بنصر العزة والكرامة، هي أن سر نجاحنا في تحقيق هذا النصر، ما زال موجودًا حتى الآن، وهو أن "الشعب وقواته المسلحة يد واحدة"، فلا تنسوا هذا اليوم،

بعد أن أثبتت حرب 1973 للعالم أجمع قدرة المصريين على إنجاز عمل جسور من خلال دقة الإعداد والتخطيط، وبسالة الأداء والتنفيذ، ليضربوا للعالم أجمع أروع صور البطولة في الوقوف إلى جوار قواتهم المسلحة داعمين ومساندين. وعليكم أيضًا أيها الحاقدون، أن تعلموا، مهما صنعتم من أساطير من الكذب والافتراءات، فلا تنسوا أن المصريين قادرون على تحطيم أي أسطورة كاذبة. وليس ما حدث في أكتوبر 1973 ببعيد، ألم تُحطَّم أكذوبة الجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر؟ إذ استطاع الجيش المصري عبور قناة السويس وتدمير خط الدفاع الإسرائيلي الحصين المعروف بخط "بارليف"، لتكون تلك الحرب بمثابة عبرة كبرى للقادة في تل أبيب،

همتنا
مجلة كل العرب

لدرجة أن جولدا مائير لوَّحت باللجوء إلى السلاح النووي لإنقاذ جيشها، وفي نفس الوقت سا رعت أمر يكا بإج راء جسر تسل يح ج وي عسك ري مباشر لمساعدتهم. وعليكم أن لا تنسوا أيها الحاسدون المغرضون، ما أحدثته حرب السادس من أكتوبر من إعلاء مبدأ التضامن العربي في وجه قوى الاحتلال ومعاونيه، فهم أيضًا يعلمون جيدًا أن هذا المبدأ واجب وضرورة الآن في ظل الحرب الخبيثة التي تُشَنُّ يوميًا عبر منابر الكذب والضلال.

أما التعمير والإصلاح، فهيهات أن يتخلى عنه المصريون أبد الدهر، ولن تكونوا سببًا في وقفه. فقد تم البدء في مشروعات كبرى مهما كذبتم،

أنسيتم أن المصريين ضحوا في العاشر من رمضان 1973 بأبنائهم، من أجل استرداد سيناء وتعْمِيرها؟ وبالفعل حقق 1975 نصرًا اقتصاديًا يُشار إليه بالبنان، بعدما بأرض الفيروز من خلال ربطها بوادي النيل والعمل على تحويلها إلى منطقة استراتيجية متكاملة، إضافة إلى استرداد السيادة الكاملة على قناة السويس وعودة الملاحة في القناة يونيو 1975م . وأخيرًا.. ستبقى حرب أكتوبر المجيدة واحدة من الذكريات المضيئة والخالدة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، وفي ذاكرة كل مصري وعربي، كنموذج للفخر والعزة والكرامة، وستبقى غصة في حلق كل حاقد على هذا البلد الأمين.

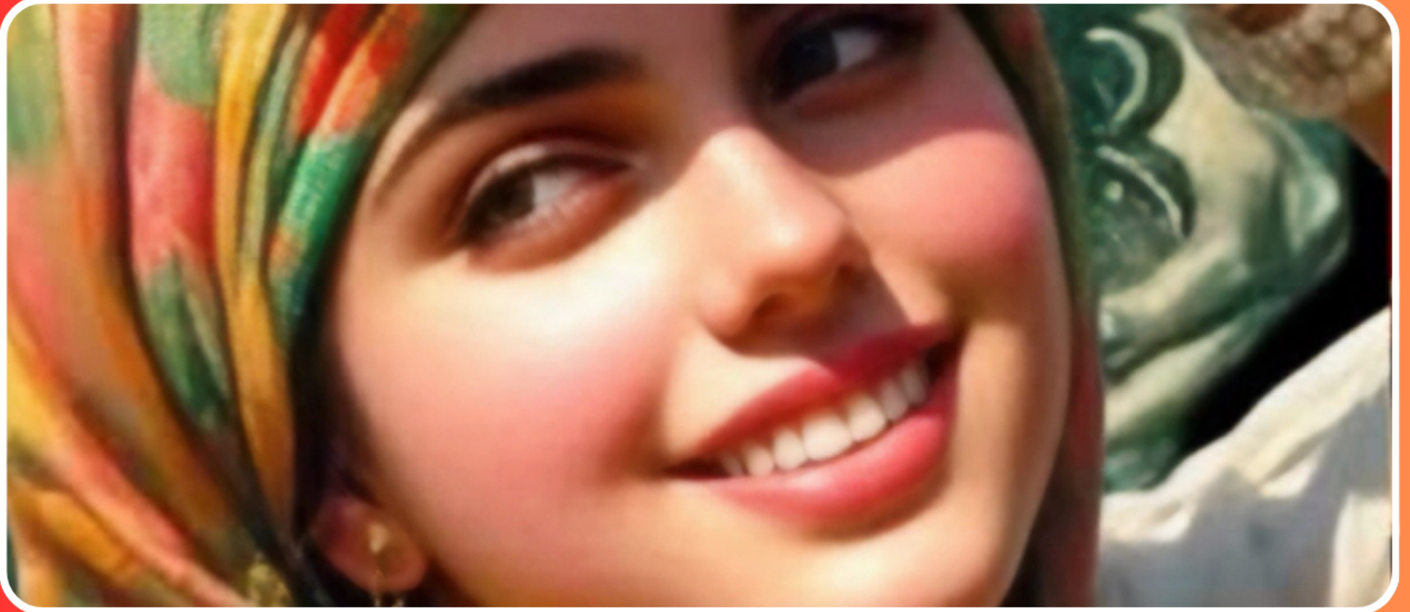
همهمة
مجلة كل العرب

بنت حلوة





دكتور سعيد شعبان



بعدت عن الكتابة منذ فترة، شغلت كثيرا برتق ثيابي، لم تعد في خزانتي غير التي تهرأت وسرح فيها الزمن، مضت رغبتي في الألوان الزاهية تلبسها أنثى جميلة، ثوبها من قطن مشجر مطرز بالورد. أسترجع الصور الجميلة لتلك الفتاة.

خدها يحمر حين يعابثها الديك الرومي يصيح وراءها يكاد يفتك بها تغيظه الثياب الحمراء والفتاة ذات الخد يقطر دما، تملأ الدنيا بهجة، أبحث عنها في طيات ذاكرتي، ربما هي الآن سيدة في بداية العقد الخامس، تغضن وجهها، أصابتها ملوحة، لم تعد الفتيات ترتدين تلك الثياب ذات الورد المشجر، لا أستطيع معرفة بعضهن، إنهن أشبه بالمسخ.

أقف عند موقف السيارات، أتصفح وجوه العابرات، ربما هذه هي أو لعل هذه ابنتها، يعتريني الخجل، لم أعهد من نفسي ذلك المتسكع في الطرقات، غير أن تلك البنت الحلوة ماتزال تسكن ذاكرتي.

تشغلني نون النسوة، إنها أغنية مفرداتها تتراقص، ساعة العصاري يمسك عم رمضان بنايه المصنوع من بوص الغاب يقف عند ضفة النهر ثم يراوح بأنامله مصدرا لحنا بديعا، نلتف حوله، نسأله هل هي بنت حلوة؟

يتنهد ثم يتساقط الدمع من عينيه!

كانت أمي تحدثني عن عروس النيل، ذيلها يشبه سمكة البلطي، ترتدي فستانا من حرير أصفر، من يومها كلما رأيت امرأة تذكرت البنت الحلوة، هل اندثرت تلك المفردة من لغتي؟

لكم أكره معلمي؛ طمس صورة البنت الحلوة، جعلها شيطانا يقبل ويدبر، يمتعض حين تبتسم زميلتنا هدى، ينهرنا إذا نظرنا إليها، كانت البنت الحلوة.

حين كبرت نبتت لحيتي، تخشب وجهي، لم تعد عيني ترى بنتا ذات ضفيرة،

امتلأت شاشات العرض بصور الفتيات، لكن واحدة منهن لم تحظ بحلاوة البنت التي رسمها أحد زملائي في الفصل.

يؤلمك أن تغيب البراءة، لوحات الفصول معتمة، لا تحسن الفتيات خلط الألوان، صرن لايمتلكن غير هواتف غبية يرددن أغان تافهة.

هذا أوان قطف الياسمين، تعبق الأجواء بالعطر.

سألني مدير إحدى الصحف اليومية: لم فتر قلمك،؟ لم تعد تكتب مقالات مثيرة أو قصصا جميلة.

همهمنا
مجلة كل العرب

طمأنته أنني بخير، أخفي عنه بعض هم لازمني، هل أحكي له عن ذلك اللص الذي سرق مفتاح بيتي؟

هذا شأن خاص لن يهتم به أحد، تخيلوا يسرق دارك كما يفعل الصهاينة ثم يهرع إلى الصلاة، من يشاهده يجد معه مسبحة يتمتم بأوراد الشيطان.

يأتي المحمر ترامب يدفعون له أكياس الجبلية، يقهقه النتن ساخرا. معه بنت شقراء لكنها ليست حلوة.

أي كاتب هذا! يجد نفسه بلا جذر، لمن يكتب أتحسبونه حجرا؟

هذه حكاية تتكرر، سارق في ثياب حمل وديع.

مايحدث لصغار غزة، تلك الأعضاء كما حبات الرمال المبعثرة، هل يمتلك قلم رفاهية الكتابة على أوراق الورد؟

أبحث عنها ليلة يكون القمر بدر التمام، هذه صورة تثير فضولي، هل تجلس في شقتها كتب أبيات شعر؟

إنها منشغلة برتق ثياب زوجها المحال إلى التقاعد، يشكو من غبش عينيه، هي الأخرى تعاني من الوحدة، لايدري عن عالمها شيئا، ربما لم يشاهدها بالثوب ذي الورد المطر.

بنت حلوة



الأديب عبد الله أبو زوير

معركة وادي ماجد

الجزء السادس

رد موسى بغضب : لا يستطيع أحد في الدنيا تحديد موعد لقدوم الخيل بدقة ، تملكت الحيرة "قناش وأخذ يراقب المعسكر وكأنه يراه لأول مرة، كان يعرف عن الإنجليز أنهم لا يفتقرون للشجاعة لكن ضغط فرسان القبائل عليهم لم يعطهم الفرصة كاملة لرد الهجوم كما لو كانوا جاهزين للحرب ، حك راسه من تحت عمامته وضغط على عمامته من أعلى إلى أسفل ،







هزَّ رأسه، وضاق فمه. تقدم خطواتٍ بفرسه واستدِار بها نِحو الفرسان، فوقف أمام الصفِّ المرتَّبِ على شكل هلال.
تراقصت الفرس تحتهَ، وصَهَلَتِ الجيادُ، وتعاقبت الخيولُ العائدةُ لتوِّها إلى أطراف الهلال. سمع طَلَقَ ناريًّا، فالتفت خلفه ورأى الثعبان يعود برأسه تحت حافة الوادي، بعد أن أرسل الموت إلى داخل المعسكر. عرفه فابتسم رغمًا عنه. حدَّق جيدًا يتابع سيل الأعيرة النارية التي تُطِنُّ في صوان حافة الوادي، ورأى "عُشَيْبِي" يزحف بمؤخرته إلى أسفل الوادي كحرباءَ أعياها عدوُّها فتراجعت كي تنسحب.

تأفف "عشبي" وهو يقول:
"آه، لو أن رأسي بين الحجرين الآن لسبقني إلى الأسفل!"

أدار "قناش" رأسه نحو الصف، فرأى بعض الفرسان يبتسمون، فأدرك أنهم يضحكون على طريقة زحف "عشبي" إلى الخلف، مُقَدِّمًا مؤخرته على رأسه. مسح "قناش" عَرَقَ وجهه بيده، ولعق شفتيه بلسانه. أشار بيده ليستقيم الصف، وقسمه إلى ثلاثة أثلاث، دون أن يترك بينها فروقًا في المسافات. ثم قال بصوت عالٍ حادّ:
"هذا الثلثُ هو الميسرة." وأدار وجهه إلى الطرف الآخر من الهلال:
"وأنتم الميمنة. وهذا الثلث هو القلب. سنهاجم جميعًا معًا بعد أن نطلق العِنان لخيولنا كما تشاء. عدا فرسان القلب الذين سيكونون خلفي، فعليهم أن يضبطوا سرعة خيولهم على سرعتي، وحين أتوقف عليهم أن يطلقوا النار بغض النظر عن قرب الهدف أو بعده. أما الميمنة والميسرة فعليهما الحفاظ على سرعة خيولهم واقتحام المعسكر من جانبيْه، وألا يطلقا الأعيرة إلا على الأهداف."
نجح في اختراق الدفاعات الجديدة.
وبصق "سنو" بقوة تجاه "قناش" الذي كان يراقبه طوال الوقت من خلالِ منظاره، متمنيًا لو كان قريبًا منه. نفَخَ "سنو" قبل أن يسقط منظاره من يده متدليًا على صدره، ثم بصق بصوت مسموع، وقبض يده بقوة، وضرب الأرض برجله. أشار بإصبعه وهو يحدق فاغرًا فاه، والتفت إلى الضابط المنبطح خلف جوال مملوء بالرمال، وسأله:
"هل وجدت هؤلاء، ولو سطرًا واحدًا، في التاريخ العسكري كله؟"
(لم أسمع الرد.)
فقط رأيت الضابط الصغير "بلّ" يرمق قائده من مكانه خلف الصخور بنظرة كالبرق، دون أن ينبس بكلمة.
ما زال "قناش" مصممًا على البقاء. ولم يكن "سنو" وحده من ينتظر رحيله أو موته؛ فقد كانت جيوش الغربان تراقب نهاية المعركة لتنهال على جثث القتلى التي خلفتها القبائل، وبرك الدماء الصغيرة التي تلمع تحت أشعة الشمس في كبد السماء.
تملّكه الذهول وهو يرى ذلك الصعلوك البدوي يخترق دفاعاته بفرسان لا يبالون بالموت والنار، ولا يترددون في تنفيذ أوامر قادتهم الصعاليك أمثالهم. رأى ما يحدث بعينين لم تعودا

همسنا
مجلة كل العرب

تبصران إلا كما يبصر جرو وُلِدَ للتو؛ فقد عمَّ الظلام وسط الظهيرة بسبب غارات هؤلاء الجرذان التي لا تنقطع.

اقترب "عزومي" من "قناش" حتى كاد الجوادان أن يتلامسا وهما يعدوان بأقصى سرعة بعد كُرَّةٍ. صرخ "عزومي" بصوت عالٍ:
"قناش! فِي هذه الكرة نتقدم أكثر."
أزاح "قناش" اللثام عن فمه وردَّ يصرخ:
"ليس بعدا!"

توقفوا خلف الوادي وراء التل، واقترب "قناش" من "عزومي".
"إصابة 'زوير' أكدت أنهم يتحيلون علينا كي نندفع. وأي مخاطرة غير محسوبة مع هؤلاء ستحوِّل انتصارنا إلى هزيمة. دع 'كميل' يقود الفرسان، ونادِ القادة خلف التلة."

فوق السروج، عُقِدَ اجتماع القادة الذي استغرق أكثر من عشر دقائق. كانت قيادة "كميل" المؤقتة تختلف عن قيادة كبار القبائل، رغم أنها كانت لسبب واحد: عدم إعطاء فرصة لجنود المعسكر كي ينتشروا أكثر. أمر "كميل" الفرسان بتكوين مجموعات، وطلب منهم الانحراف يمينًا أو شمالًا عند الهجوم ليفسحوا مجالًا للأمواج المهاجمة المنطلقة إلى داخل المعسكر.

قال "سُنقر" و"عزومي": "لدينا ثلاثون فارسًا ويستطيعون فعل ذلك."
وقال "جمعة": "لدينا ما بين الثمانية والعشرة."
و"أبو سن" كذلك.أما "الأقطع" فقال: "ليس لدي أحد الآن، رغم كثرتهم عندنا، لأننا بعيدون عن أرض المعركة التي لم نكن نعلم بها حين طلبتم مني الحضور."
ثم تأفف قائلًا: "آه، لو كانت المعركة هناك لرأيتم المعسكر وقد اقتُلع بأرضه ومَن فيه إلى البحر."
"علي كم استدء اء هؤلاء الآن !" أمر "قناش".
"كيف لنا أن نعرفهم الآن وسط هذه الأمواج التي أعدها 'كميل'؟"
"دعوهم يصطفوا. فلم تعد السيطرة دون تحقيق مكاسب ذات جدوى. إنهم ينهكون قواتنا بإضاعة الوقت."
"إنهم يحاربوننا بفطرة توارثوها منذ القدم." قال "سنو": "هل تعتقد أن لا نية لهم بمهاجمة المخازن؟"
"حتى الآن، حربهم مع أشخاصنا وسيطرتهم لم تكلفنا الكثير."
"سيدي القائد، هل ثمة خطأ في اختيارنا لهذا الموقع؟"
"خطئي أنني لم أحسب لهؤلاء الجرذان حسابًا. موقع المعسكر يستحيل مهاجمته من جيش منظم؛ الوديان تحيط بنا من كل جانب."
"ما يستحيل مهاجمته بالدبابات أو العربات إلا من اتجاه واحد. نستطيع بأقل قوة حمايته وصد أي هجوم عسكري ضدنا."
"هذه التضاريس أضرت بنا أمام هؤلاء، سيد ي. نع م، لا كن لا يس بقَ در خسائر فادحة."
"تراقصوا بنا كما تتراقص خيولهم مع سحب السماء!" .. "اخرس!"

هلا مجلة كل العرب

"عفوًا سيدي، لا أقصد..."
"انتبه! ها هم قادمون."
"جنودنا انتشروا واتخذوا مواقع في كل الخطوط، وغطوا نقاط الضعف. كانت فرصةً جيدة لاتخاذ مواقع أفضل."
"حسنًا."
تحولت الحرباء إلى ثعبان، وعاد يزحف إلى حافة الوادي من جديد بحذر الطير من مكان آخر، بعد أن فقد الحجرين اللذين اعتاد وضع رأسه بينهما. راقب هدفًا وتأفف لعدم قدرته على الوقوف ليسدد رصاصةً لا تخطئه أبدًا، لو استطاع فعل ذلك ولو لبرهة. صوَّب وأطلق بعد أن ضغط على شفته السفلى بأسنانه التي كساها الصدأ من رداءة الماء المستخرج من آبار قرب البحر مباشرة. طنَّت الرصاصة فوق رأس الجندي وانحرفت بعد أن اصطدمت بخوذته. ثم شاهد جنديًا آخر يسقط رغم بعده عن الهدف. حدَّق مرة أخرى في ماسورة البندقية الجديدة، ثم قال: "الله أكبر! لعل الملائكة حولتها إلى جندي أكثر قسوة من هدفي. إنها دون شك معجزة." حدث "عشبي" نفسه، لكنه ما لبث أن رأى الرجل الثعلب يعود إلى بيتِ ه بع دَ أ نْ أفر غَ عيا ر بندقيته. فابتسم ومسح عرقه بكم ثوبه الرث.

وهتف الكولونيل:
"سيدي القائد، لم لم تأمر بتحرك الدبابات إلى الأمام لسحقهم؟"
"الدبابات هي خط دفاعنا الأخير، يا كولونيل. كما أنهم سيهتدون لحرقها وحرق مخازن الأسلحة التي جعلتها كحائط خلفها. ماذا ستفعل الدبابات بخيول تحوطها إلا أن تقتل القليل منهم؟ لكن الآخرين سيحرقونها بمن فيها. الهجوم حتى الآن ليس في صالحنا، كما أن الدبابات تحتاج لوقت طليل لمحاصرتهم من الخلف؛ لأن الطريق إليهم بعيد جدًا رغم قرب مسافتهم. الدبابات لا بد أن تمر بطريق دائري طويل وبعيد عن الوديان في صحراء مكشوفة، ثم تعود مرة أخرى بسبب التضاريس المحيطة بنا كي تلتحم معهم، ناهيك عن التلال التي يحتمون بها ومفاجآت الصحراء وأرضها القاسية أحياناً والطينية جراء الأمطار في معظم الأحيان. إذا ما تمكنوا من القضاء على الدبابات، فسيقتلوننا بأسلحتنا بعد تفجير المخازن حولنا......"







الخيل والإبل في الشعر الشعبي الليبي

أ.د. إبراهيم العايش

أستاذ العلوم السياسية
جامعة سرت - ليبيا



تعدُّ الخيلُ والإبلُ جزءًا لا يتجزأ من حياة المجتمعات العربية، وخاصة ذات الطابع البدوي؛ فهي الوسائل التي تعتمد عليها هذه المجتمعات في كافة مناحي حياتها منذ قديم الأزل ولا تزال حتى وقتنا الحاضر، حيث تلعب دورًا مهمًّا في حياة تلك المجتمعات.

وتتجلى أهمية الخيل والإبل في الشعر الشعبي الليبي من خلال تصويرهما رمزًا للقوة والجمال والمكانة الاجتماعية والشجاعة والصبر، وتتمثل أهميتهما في كونهما رمزين أصيلين للحياة البدوية.

فالخيل في المأثور الشعبي "الموروث" حاضرةٌ بارزةٌ مميزة بين جميع الحيوانات الأليفة، ولا ينافسها في مكانتها وحظوتها عند أهل البادية إلا الإبل. فالإبلُ كسبُ عِزٍّ وكنز، كما يقولون، والخيلُ للوجاهة والمَنَعة والسؤدد.

وثمة ثلاثة كائنات حية تحظى في الشعر الشعبي الليبي بمكانة متميزة، وهي: الخيل، والإبل، والطيور الجارحة "الصقور". ومن بين هذه تأتي الإبل في المرتبة الأولى؛ ذلك أنها العصب الذي تقوم عليه حياة البدو. منها يأكلون ويتغذون ويروون ظمأهم بلحمها وشحومها ولبنها، ومن أوبارها يتخذون بيوتًا ولباسًا وفراشًا، وعلى ظهورها ينتقلون ويسافرون ويجوبون الفيافي والقفار، ويحملون الأثقال والبضائع. ففي الوقت الذي لم تكن قد عُرفت بعد وسائل المواصلات الميكانيكية كالسيارة والقطار وغيرها، كانت الإبل - بفضل ما أودع الله سبحانه وتعالى في خلقها من قدرات وخصائص بدنية - هي الوسيلةَ القادرة على خوض رمال الصحراء وتحمل صعوبة الطقس وشحّة المياه.

وقد جاءت الخيل في حياة البدو في المرتبة الثانية من حيث الأهمية، وكانت أهميتها تستند أساسًا على قيمتها الحيوية كعدة للحرب والقتال، وتُمس الحاجةُ إليها حين تقع الحوادث وتنشب الصراعات والنزاعات.

ولا شك أن الخيل والإبل هما من ركائز الحياة البدوية في المجتمع الليبي الذي لا يزال يغلب عليه طابع الحياة البدوية والعشائرية. وقد كانتا حاضِرَتَيْن بقوة في قصائده الشعرية وموروثه الثقافي الشعبي، وتغنى بهما العديد من الشعراء. فقد تم ربطهما بحياة الجود والأجواد والفخر والعزة والشجاعة والكرم في هذا المجتمع، وكذلك في العديد من المجتمعات العربية البدوية من الخليج العربي شرقًا وحتى جبال الأطلس غربًا، وفي كافة المجتمعات العربية.

ولقد ربط الشعر الشعبي الليبي بين الإبل والخيل في علاقة متلازمة في وجودهما

ورفقتهما، ومن أشهر الأبيات في ذلك ما قاله الشاعر "عبد المطلب الجماعي":

الإبلُ تعزُّ النفسَ وأنعم بها --- وهي عزُّها
والخيلُ تتبعُ فيها

حيث تحدث عن الخيل من حيث إنها مهمة للمحافظة على عزة الإبل وحمايتها والذود عنها ضد الطامعين فيها والمعتدين عليها.

وقد نالت الخيل والإبل في الشعر الشعبي الليبي قدرًا كبيرًا وأهمية بالغة، سواء في الوصف أو عزة الكسب والتربية وغيرها من القصائد التي تغنت بهما، وجعلتهما جزءًا من التراث الثقافي والشعبي في الحياة الفنية في المجتمعات العربية بشكل عام، والمجتمع الليبي بشكل خاص.

ففي الشعر الشعبي الليبي نجده يربط بين الخيل والقوة والشجاعة والفراسة، وكذلك يتغنى بجمالها عبر تفاصيل دقيقة متعلقة باللون (الأزرق - الأشقر - الأحمر ... إلخ) وبالتركيب الجسدي (الكفل - الصدر - السيال...). ويعتبر الخيل المقياس الحقيقي للفارس، فمن لا يركب الخيل لا يُعَدُّ فارسًا. ويركز الشعراء الشعبيون عادة على وصف الخيل بعبارات مثل: "شقراء تكون جميلة، وسمحة كفل، وعريضة المحزم، ووصف الحافر بدور الذهب". وكذلك يتغنون بها في إسقاط أوصافها على المحبوبة والعشيقة.

فلا شك أن للخيل مكانتها في الشعر الشعبي الليبي، ولا تزال إحدى أدوات موروثه الثقافي حتى وقتنا الحاضر.

وكذلك الإبلُ فلها مكانتها وعزة كسبها والافتخار بها في الموروث الثقافي الشعبي، حيث يصورها الشعراء في مواقف تعكس العناد والجهد الشاق، ويربطونها بظواهر طبيعية، مثل تشبيهها بالنخيل الذي تداخله أشعة السراب وقت الحر الشديد، أو تشبيه صوتها بصوت الطائر الذي يئن من العطش في القيظ والشمس.

ويصف الشعراء الخيل والإبل بصفات عديدة تدل على العزة والفخر والشجاعة والجمال. ففي جمال الخيل يعددون الألوان وسرعة الجري والأصالة والرفقة. وفي وصف الإبل يتناولون صعوبة الحياة ومعاناتها ودور هذه الإبل في حمل الأعباء عن أهلها. كما يربط الشعراء الخيل بالشجاعة ويبرزون دورها كرفيق للفارس في

المعارك وشدائد الحياة، ويربطون الإبل كرمز للحياة الصعبة وقسوة الطبيعة الصحراوية.

وهناك العديد من الأبيات التي تتحدث عنهما في الشعر الشعبي الليبي، ونذكر منها على سبيل المثال في وصف الخيل:

يا زينها ما تردح --- حمرا ولبست قلادة
عليها ولد بايع الراس --- إما النصر وإلا الشهادة

وكذلك في وصف الإبل:

والوصف والتركيب شيء جميل --- قليل من يعرف سرهم نرويه
منا الكسب والرزق يميل --- وفي من كسب شقرة تكون عتيلة
ويا خوي علق عليها --- شعير بي سمح الظلايل
ولا كان عطشت أسقيها --- حليب من ضروع الشمايل

وإذا كانت الخيل قد نالت نصيبها من التفاخر في القصائد الشعرية، فإن الإبل كذلك نالت الحظ الوفير من التغني بها والتفاخر بعزها، حيث كتب الشعراء العديد من القصائد التي تتغنى بعزة الإبل وصمودها وقدرة تحملها... إلخ، من تلك الصفات التي تناسب طبيعة الحياة البدوية.

ومن أشهر الأبيات ما ذكر سلفًا من قصيدة الشاعر عبد المطلب الجماعي:

"الإبلُ تعزُّ النفسَ وأنعم بها --- وهي عزُّها والخيلُ تتبعُ فيها".

وختامًا، لا يسعني إلا أن أسجل اعتزازي وتقديري لكل من الخيل والإبل ودورهما في حياة مجتمعاتنا العربية بشكل عام، والمجتمع الليبي بشكل خاص. وهذا مقالي يشير إلى أهمية هذه الحيوانات ومكانتها المتميزة في هذه المجتمعات، وإشارة مني إلى أن يتصدى عدد من الباحثين والكتاب لتناول موروثنا الثقافي، وإعطائه الأهمية التي يستحق من البحث والكتابة، فتلك من شيماتنا وصفاتنا التي ورثناها عبر الأجيال، والتي تفتخر بالعزة والشجاعة والكرم، والتي تعد الخيل والإبل من رموزها وتاريخها.





بشائر النصر

هلنا
مجلة كل العرب

هَديرٌ يَشقُّ عَنانَ السَّماءِ
بِسْمِعِ الكِنانَةِ قَدْ زَغْرَدَا

نُسورٌ تُطيرُ.. أُسودٌ تُغيرُ
تُذيقُ اليَهودِيَّ طَعْمَ الرَّدَى

هَتَفْنا هُتافاً يَهُزُّ الجِبالَ
هَزَمْنا المُحالَ، أَسَرْنا الغَدَا

جُنودُكَ يا مِصْرُ قَدْ أَقْسَمُوا
بِأَلّا يُضِيعُوا التُّرابَ سُدَى

وَسِينَاءُ تَصْرُخُ في قَيْدِها
فَهَبُّوا وَ لَبُّوا عَظِيمَ النِّدَاءْ

وَكُلٌّ تُسابَقَ نَحْوَ الجِهادِ
وَرَاحَ يَدْمَدِمُ رُوحي فِدَاءْ

فُؤادِي أَبِيٌّ، وَعَقْلِي ذَكِيٌّ
وَزَنْدِي عَفِيٌّ، وَلَنْ أَقْعُدَا

عَلى أَرْضِ سِينَاءَ كانَ النِّزالُ
وَكُنّا نَتُوقُ، وَطالَ المَدَى

فَلَسْنا نُخافُ أُوارَ الحُروبِ
وَمَا النَّصْرُ يَوْماً لَكُمْ هُيِّدَا

رَصاصِي تَرَشَّفَ شَهْدَ الطَّريقِ
وَقَدْ راقَهُ صَدْرُكُمْ مَغْمَدَا

وَها قَدْ مَحَوْناكَ يا عارَ يُونْيُو
جَعَلْناكَ بَعْدَ الأَسَى سُؤْدَدَا

عَبَرْنا القَناةَ كَعَصْفِ الرِّياحِ
وَيا لَيْلَنا لَمْ تَعُدْ سَرْمَدَا

وَشَعْبٌ عَظِيمٌ أَصِيلٌ سَيَبْقَى
عَلَى الأَرْضِ حُرّاً هُنا سَيِّدَا

هُنِيئاً بِنَصْرٍ عَزِيزٍ مُبِينٍ
لِمَنْ عاشَ مِنّا أَوِ اسْتُشْهِدَا

وَيا وَطَنِي أَبَداً لَنْ تَهُونَ
ثَرَاكَ بِأَرْوَاحِنَا يُفْتَدَى

وَلَسْنا نُبالِي بِتِلْكَ الحَياةِ
فَلَسْنا لِزُخْرُفِها عَبَدَا

فَمَا عُدْتُ صَبّاً بِطَيْفِ الحَبِيبِ
وَلا الرَّاحُ تُغْرِي وَلا المُنْتَدَى

إِلٰهِي أَعِنَّا وَسَدِّدْ خُطَانَا
إِلٰهِي مَدَدْنَا إِلَيْكَ اليَدَا





الشاعر م. محمود الفحام

عضو اتحاد الكتاب
رئيس القسم الأدبي
بمجلة هلنا



همتنا
مجلة كل العرب

الحضارة الفرعونية والمنهج القرآني



السلوك الإنساني تم تهذيبه من بداية قصة ابني آدم عليه السلام، فقال الله تعالى:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة: 27)

﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (المائدة: 28)

﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة: 29)

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة: 30)

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (المائدة: 31).

فمنهج القرآن الكريم عدم الاعتناء بالأسماء التي لا تؤثر في مضمون القصة، ومما يدلعلى أن القرآن لا يعتني بما لا يؤثر في القصة قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِيَسْعَى ﴾ [القصص: 20]، ما هو اسم الرجل؟ اسم الرجل لا يؤثر. أصحاب الكهف كم عددهم؟عددهم لا يؤثر. قال: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ﴾ [يوسف: من الآية 39]، من هم أصحابه فيالسجن؟ هذا لا يؤثر.

فالقرآن منهجه عدم الاعتناء بالأسماء طالما أنها لا تؤثر في مضمون القصة، كذلك عدمالاعتناء بالأرقام والصفات، ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ [البقرة: من الآية 73]، ببعض البقرةبرأسها أو بذيلها أو بقدمها بأي جزء منها لا يؤثر، والله قال لموسى عليه السلام:



د.فايز البتانوني

أستاذ بجامعة الأزهر الشريف

﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ [طه: من الآية 12]، ما صفة النعلين؟ ما طولهما؟ ما طبيعتهما؟ لا يؤثر، فهذا يعلمنا أن نعتني بما يؤثر.

قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ ﴾ [المائدة: من الآية 27]، ففي كتب السابقين: قابيل وهابيل، ولم يثبت عندنا نص صحيح من رسولنا صلى الله عليه وسلم في شأن اسمي ابني آدم.

فصراع الإيمان الروحي والأفكار مختلف عن صراع الأجساد. فاستخدام قوة الأجساد لفرض الدين والعقيدة والتوحيد والأفكار لا ينجح.

إن المنهزمين فكرياً يحاولون جَرَّ أصحاب الأفكار إلى المعارك الجسدية، ولذلك ينبغي على أصحاب الأفكار أن يكونوا من الوعي والوضوح بحيث يستطيعون فصل الأمرين عن بعضهما فصلاً تاماً، ولا يقعون فيما يسعى الآخرون إلى إيقاعهم فيه، وبالقدر الذي يكون فيه أصحاب الفكر غامضين وغير صريحين ولا واضحين، فإن أصحاب الصراع الجسدي لن يكفوا عن التلويح بالجسد، وسيتمادون في اتهام الآخرين بأنهم يريدون القضاء على الجسد.

إن الإيمان هو العلم الراسخ الذي وقر في القلب وصدقه العمل، ولا يشترط أن يكون هذا الذي وقر في القلب وصدقه العمل صواباً، لأن الإيمان قد يتعلق بالخطأ كما قد يتعلق بالصواب، فهو قد يكون إيماناً بالحق، وقد يكون إيماناً بالجبت والطاغوت.

ففي خواطر محمد متولي الشعراوي: قول الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ (المائدة: من الآية 27)، عندما نسمع قوله الحق: "بالحق" فلنعلم أن ذلك أمر نزل من الحق فلا تغيير فيه ولا تبديل.

أي أن ما أُنزل من عند الله لم يلتبس بغيره من الكلام، وبالحق الجامع لكل أوامر الخير والنواهي عن الشر نزل.

ولو طوفنا بألبابنا وأسماعنا في عجالةٍ مقتضبةٍ على قصةٍ من هذا القصص القرآني المبهر، ونظرنا بعين البصيرة إلى أول قصةٍ صارت على هذه البسيطة، لوجدنا أنه حينما أُهبِط الأبوان آدم وحواء من الجنة بدأت معركة المراغمة مع الشيطان، ورزق الأبوان قابيل وهابيل الذي قال الله عنهما: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة: 27)

﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (المائدة: 28)

﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة: 29)

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة: 30).

أولى هذه الوقفات: أن قتل النفس المعصومة كان محرمًا منذ زمن آدم - عليه السلام – ويدل لذلك قوله - تعالى - حكاية عن الأخ المقتول: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة: 29).

الوقفة الثانية: أن الله - جل وعلا - جعل الوعيد الشديد لمن قتل نفسًا معصومةً بغير حق.. فقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: 93).

إلا إن الله حرم القتل، ولا أدل على فظاعة هذا الجرم من كون الله قرنه بالإشراك به في آيةٍ واحدة فقال سبحانه: ﴿ قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام: 151).

الوقفة الثالثة: أن الشارع الحكيم إذا نهى عن شيء فإنه ينهى عن كل وسيلة تؤدي إليه لئلا يقع أحدٌ فيما حذر منه، وحينما حرم الله القتل فإنه حرم كل وسيلة توصل إليه..

الوقفة الرابعة: أن في قصة ابني آدم بياناً أنه لا يمكن لأي امرئٍ أن يسوغ لنفسه قتل معصوم بمجرد تأويل أو حيلة؛ فابن آدم جعل الحسد مسوغًا له هذا القتل المحرم؛ ولذا كان لزامًا أن يتقي الله كل من تسول له نفسه ضرباً من ضروب التأويل والتخريجات والتعسفات في إباحة دم معصوم ليس له فيه برهانٌ من الله.. فيرتكب العظائم ويستبيح المحرمات بمجرد شبهة أو هوى فيدع المحكم الواضح - وهو عصمة الدم - ويتبع المتشابه المتضاد..

ولذا فإننا نخاطب كل من استهان بحرمة الدم المسلم وأوجد له المسوغات التي لم يدل عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا صحابته ولا السلف الصالح بأن يتقوا الله ولا يلطخوا أيديهم بدماء المسلمين وألا يحدثوا جذاماً لأجل تطبيب الزكام؛ فإن الحلال بين والحرام بيّن..

ولا أدل ولا أبين ولا أرهب ولا أشد تحذيراً من الوقوع في مثل ذلكم من تلك القصة العجيبة التي تشيب لها مفارق العقلاء وترجف منها أفئدة الذين يخافون الله..

فسبحانه يحكي قصة قرآنية تحكي واقعة كونية. ومادام الله هو الذي يقصّ فهو سيأتي بها على النموذج الكامل من الصدق والفائدة.

تقرب العبد بأجود ما يملك لربه دون ما سواه لقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾ [المائدة: من الآية 27]، فالصالح يعتمد على تقديم أجود ما يملك لربه خير ما يملك.

واقتضت حكمة الله تعالى في الأمم أن يرسل في كلّ منها نذيراً، ولم يرسل رسولاً للبشرية كلّها إلاّ محمداً صلى الله عليه وسلم، واقتضى عدله ألاّ يعذب أحداً من الخلق إلاّ بعد أن تقوم عليه الحجة قال الله تعالى: ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: 15).

ففي "النكت والعيون" للماوردي في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: من الآية 15) فيه وجهان:

أحدهما: وما كنا معذبين على الشرائع الدينية حتى نبعث رسولاً مبيناً، وهذا قول من زعم أن العقل تقدم الشرع.

الثاني: وما كنا معذبين على شيء من المعاصي حتى نبعث رسولاً داعياً، وهذا قول من زعم أن العقل والشرع جاءا معاً.

وفي العذاب وجهان:

أحدهما: عذاب الآخرة، وهو ظاهر قول قتادة.
الثاني: عذاب بالاستئصال في الدنيا، وهو قول مقاتل.
وفى خواطر محمد متولي الشعراوي: فإن اهتدى الإنسان بفطرته إلى وجود الخالق سبحانه، فمن الذي يُعْلِمه بمرادات الخالق سبحانه منه، إذن: لا بُدَّ من رسول يُبلِّغ عن الله، ويُنبِّه الفطرة الغافلة عن وجوده تعالى.
من هنا كثر الأنبياء والرسل في تاريخ البشرية كثرة هائلة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر: 24).
ففي "النكت والعيون" للماوردي في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا ﴾ (فاطر: من الآية 24) بالقرآن بشرى بالجنة.
تأويل وقوله تعالى: ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ (فاطر: من الآية 24) من النار.
تأويل وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر: من الآية 24) أي سلف فيها نبي، قال ابن جريج: إلا العرب.
وفى خواطر محمد متولي الشعراوي: وقوله تعالى: {بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [فاطر: 24] البشير: الذي يُخبر بالخير قبل أوانه. والنذير: الذي يُحذِّر من الشر قبل أوانه. {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: 24] إنْ هنا بمعنى ما النافية، مثل: {إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ} [فاطر: 23] فالمعنى: ما من أمة إلا خلا فيها نذير يعني: جاءها نذير ومضى.
والأمة: الجماعة من الناس، تجمعهم أرض واحدة، أو يجمعهم سلوك واحد، أو عقيدة واحدة. ومن معاني كلمة أمة ما جاء في قوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} [النحل: 120] يعني: جامعاً وحده كُلَّ خصال الخير، بحيث لو جمعت كل صفات الخير في أمة تجدها في سيدنا إبراهيم عليه السلام.
وإذا كانت الأمم السابقة مضى في كل منها نذير، فرسول الله هو النذير الأخير، لماذا؟ قالوا: لأن واقع العالم في القديم كان بعيد التواجد منقطعاً بعضُه عن بعض لصعوبة الاتصال، فالجماعات تعيش منفصلة لا اتصال بينها، فترى لكل بيئة داءاتها وعيوبها وعاداتها، فيأتي الرسول ليعالج داءات قومه فحسب، فسيدنا نوح عليه السلام جاء للذين عبدوا وَداً وسُواعاً ويَغُوث ويَعُوق ونَسْراً، وسيدنا لوط عليه السلام جاء ليعالج داء الشذوذ في قومه .. الخ.
أما سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء على ميعاد مع التقاء الدنيا كلها، حين تداخلت الحضارات والمجتمعات، فصار العيب في أمة عيباً في كل الأمم، وزاد هذا الالتقاء حتى أصبحنا اليوم نرى ونسمع ما يحدث في أقصى بلاد الدنيا في التَّوِّ واللحظة، كذلك نرى ونسمع سلبيات وعيوب الآخرين وكأنها في بلادنا، إذن: ستتوحد الداءات، وتتوحد النقائص، ويصبح العالم كله بيئة واحدة، لذلك كانت رسالة الإسلام رسالة عالمية، وبُعث سيدنا رسول الله للناس كافة.

فلنتأمل تعاليم الأدباء في الحضارة الفرعونية التي تشير للسلوك الإنساني، والإشارة لبعض آيات القرآن الكريم التي تشير لهذا السلوك.
(عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، القاهرة، الأنجلو المصرية، 1979، ص 351 -355)

1. الدعوة لتفضيل العمل على الكلام

• تعاليم الأديب (أمنوبي) :

همسة
مجلة كل العرب

{دع سمعتك تزكو وفمك صامت تدع إلى أعلى المناصب}

• قال الله تعالى:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة: 105).

2. الدعوة لتفضيل إعمال العقل

• تعاليم الأديب:

{كن رصيناً في تفكيرك وثبت فؤادك ولا تتعود على أن تجدف بلسانك، ولا تفصلن فؤادك عن لسانك تصبح مشروعاتك كله ناجحة}

• قال الله تعالى:

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: 44)

وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران: 65)

وقال الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: 219).

3. الدعوة لحسن الاستماع عندما يصبح الفرد صاحب منصب وجاه

• تعاليم الأديب:

{ترفق حين تستمع إلى حديث الشاكي، ولا تنهره حتى يفضي بما في جوفه، ويحكى ما جاء من أجله، فالمتظلم يحب أن يؤمن السامع على قوله حتى ينهى ظلامته، والمهموم يفضل أن يواسيه السامع عن أن يقضى له حاجته، ومن شأن حسن الاستماع أن يريح الفؤاد}

• قال الله تعالى:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة: 1).

4. الوصية بالأم والزوجة

• تعاليم الأديب:

{ضاعف الخبز لأمك، واحملها إن استطعت كما حملتك فطالما تجملت عبئك ولم تتركه على... ومنذ ولدت بعد أشهرك أسلمت ثديها لفمك خلال ثلاث سنين، متحملة قاذوراتك دون أنفة قائلة: ما الذي أفعله. وحينما ألحقت بالمدرسة علمت الكتابة فيها ظلت تواظب دوني على الذهاب إليك يومياً بالخبز والجعة من دارها. فإذا شببت واتخذت زوجة واستقررت في دارك ضع نصب عينيك كيف ولدتك أمك وكيف كانت تربيتك كلها}

• تعاليم الأديب:

{لا تقسُ على زوجتك في دارها إن أدركت صلاحها، ولا تسألها عن شيء أين موضعه إذا تخيرت له وضعه الملائم. فتح عينيك وأنت صامت تدرك فضائلها، وإن شئت أن تسعد فأجعل يدك معها وعاونها. يجهل كثير من الناس كيف يمنع الإنسان الشقاق في داره، وقد لا يجد أحدهم مبرراً للنزاع فيعمل على خلقه، بينما يستطيع كل إنسان أن يوفر الاستقرار في داره إذا تحكم سريعاً في نزعات نفسه، ولكن إحذر أن تمشى في طاعة أنثى، أو تسمح لها بأن تسيطر على رأيك}

• قال الله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (العنكبوت: 8)

وقال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (لقمان: 14) وقال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأحقاف: 15)

وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التغابن: 14).

5. الاستقرار في الأسرة

- **تعاليم الأديب:**

{إذا أصبحت كفئاً كون أسرتك وأحب زوجتك حدود العرف أو عاملها بما تستحق، أشبع جوفها، واستر ظهرها، وعطر بشرتها بالدهن العطر، فالدهن ترياق لبدنها، وأسعدها ما حييت، فالمرأة حقل نافع لولى أمرها، ولا تتهمها عن سوء ظن، وأمتدحها تخبت شرها، فإن نفرت راقبها، واستمل قلبها بعطاياك تستقر في دارك، وسوف يكيدها أن تعاشرها ضرة في دارها}

- **قال الله تعالى:**

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (المنافقون: 10)

وقال الله تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (الطلاق: 7)

وقال الله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة: 233). وقال الله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: 11) . وقال الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (النساء: 12) . وقال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا

وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: 286).

6. التوصية بصراحة الحديث مع النفس

• تعاليم الأديب:

[إن جوف الإنسان أوسع من شونتى الغلال الملكيتين يتسع لكل جواب.. فتخير خير الحديث وتكلم صواباً، واحتفظ بسيئة في جوفك]

• قال الله تعالى:

﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (النساء: 148)

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (الأعراف: 205).

7. آداب الدعاء

• تعاليم الأديب:

[ادع بقلب محب... ولا تجهر بصوتك يستجب الإله لدعائك ويسمع ما تقول ويتقبل قربانك]

• قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: 186)

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف: 56).

8. آداب عدم التبرم بالحياة.. وتخوف المستقبل

• تعاليم الأديب:

[لا تقل اليوم ... إن اليوم أشبه بغد. فألآم ينتهي هذا؟ كلا. فالغد... آت... واليوم منقض. وقد تصبح اللجة الفائرة حافة للأمواج]

[ولا تقض الليل متخوفاً من الغد... قائلاً عندما يطلع النهار... كيف يكون الغد؟... فما يعلم إنسان ما سيكون عليه الغد. والاله دائما في فلاح (تدبيره) والإنسان دائما في خيبة ظنونه.. ولا تتبرم بالفقر. فان رامي السهام إذا اندفع إلى الأمام هجرته جنوده حين الخطر]

• قال الله تعالى:

﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة: 88)

وقال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (الأنعام: 142)

وقال الله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (النحل: 114)

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الروم: 40)

وقال الله تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات: 22).

9. عدم شهادة الزور والنفاق وإقامة العدل

• تعاليم الأديب (أمنوبى):

[كن ثابتاً أمام غيرك من الناس... فالإنسان في مأمن في يد الرب... والرب يمقت من يزور في الكلام. وكبر مقتاً عنده النفاق. ولا تخصص عنايتك لمن اكتسى بثوب قشيب ... وتقبله في الأسمال... ولا تتقبل رشوة من صاحب نفوذ أو تظلم مقصور اليد من أجله... فالعدل هبة غالية من الرب يهبها لمن يشاء... فالرب يحب إسعاد الفقير أكثر مما يحب تعظيم النبيل]

• قال الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (غافر: 35) **وقال الله تعالى:** ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (الفرقان: 72) **وقال الله تعالى:** ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (النساء: 145)

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (التوبة: 67)

وقال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة: 68)**وقال الله تعالى:** ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء: 58)

وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: 135)

وقال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل: 76)**وقال الله تعالى:** ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: 90)

وقال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (البقرة: 165)

وقال الله تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة: 49).

10. نصرة الغير

- **تعاليم الأديب:**

[حرر غيرك إذا وجدته رهن القيد ... وكن حامياً للضعيف ... فلقد قيل إن الحسنى لمن لا يدعي الجهل بآلام غيره...]

- **قال الله تعالى:**

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة: 6)

وقال الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: 125).

همزة
مجلة كل العرب

الغناء الشعبي والفنون القولية



أ. محمود خليل

- باحث في الدراسات الشعبية



لا شك أن مأثوراتنا الشعبية المصرية – رغم تعدد ثقافاتها وبيئاتها – غنية أيما غنى بالكثير في كل المجالات، وقد حرص الباحث المتخصص على رصد ودراسة وأرشفة كل ما تم جمعه من عناصر التراث، شأنه في ذلك شأن غير المتخصص من هواة الحفاظ على التراث الشعبي. ولكل منهما أسبابه، ولكن أياً كانت تلك الأسباب، فإن ما يعنينا في المقام الأول هو النتيجة المباشرة والبالغة الأهمية لذلك النشاط (أعني الحفاظ على التراث)، ذلك أن التراث الشعبي هو المحدد الرئيس لهُوية الإنسان في كل مكان وزمان.

هنا
مجلة كل العرب



وتجدر الإشارة إلى أن الاحتكاك الثقافي هو السبب الرئيسي في تشكيل الأطر العامة للحياة الشعبية في كل بيئة، ولا نستثني من ذلك إلا منطقة سيوة. ويظهر تأثير الاحتكاك الثقافي جلياً واضحاً في المناطق الساحلية ذات النشاط التجاري البحري مع دول ما وراء البحار، كالإسكندرية على سبيل المثال، والتي استقر فيها الكثير من جاليات أوروبا من المغامرين، خاصة اليونانيين والإيطاليين (أو "الجريج" و"الطليان" كما يطلق عليهم الشعبيون في الإسكندرية). وفي ذلك تتناغم الحياة الشعبية في منطقة إقليم مريوط والساحل الشمالي الغربي لمصر مع جارتها الليبية، حتى تكاد تتطابق في كل تفصيلاتها، الأمر الذي يتكرر في جنوب مصر مع جارتها السودانية وشرق مصر مع الأردن وفلسطين. وعند دراسة الأغنية الشعبية بصفة عامة كنوع من أنواع الممارسات الشعبية، والتي عبر بها الإنسان في بيئته عن أفراحه وأتراحه –

حتى أن الباحث لجأ إلى تصنيف تلك الأغاني حسب اختلاف مناسباتها في كل دورة حياته من الميلاد وحتى الوفاة – نقول إن الباحث وضع ملامح واضحة للأغنية الشعبية بأنها مجهولة المؤلف من حيث الكلمات واللحن والمؤدي الأصلي. ويرجع الإصرار على ذلك الشرط إلى التفريق بين الأغنية الشعبية والأغنية الجماهيرية. ونحن بصدد الحديث عن الأغنية الشعبية البدوية في منطقة إقليم مريوط، سنصطدم بحقيقة تبعث على الدهشة، وهي أن الجماعة الشعبية عبرت في مختلف مناسباتها بفنون غنائية بدون آلات موسيقية. وقبل أن يسرع البعض بالقول إن المغني الشعبي استعان بالآلة الموسيقية في أغانيه كالسمسمية في أعمال الشيخ صديق (بوعبعاب)، نقول إن أغاني بوعبعاب جماهيرية وليست شعبية؛ فهي معروفة المؤدي والمؤلف والملحن،

وحتى الآلة الموسيقية مستوردة ودخيلة على البيئة البدوية. وبتأمل التعبير الشعبي البدوي في مختلف

مناسبات دورة الحياة، نجد أن اصطلاح (الفنون القولية) هو الأقرب تطابقاً لذلك الفن التعبيري؛ ذلك أن التعبير بالكلمة يتخذ عدة أشكال ومهارات لا علاقة لها بالآلة الموسيقية، ولكنها تحقق تأثيراً قوياً مؤكداً، ويستطيع المؤدي من خلاله توصيل مشاعر الإعجاب أو السرور أو الدهشة أو الحزن، وكل ذلك بواسطة قوة الكلمة التي تتخذ من طريقة الأداء قوة التأثير.

مناسبات دورة الحياة، نجد أن اصطلاح (الفنون القولية) هو الأقرب تطابقاً لذلك الفن التعبيري؛ ذلك أن التعبير بالكلمة يتخذ عدة أشكال ومهارات لا علاقة لها بالآلة الموسيقية، ولكنها تحقق تأثيراً قوياً مؤكداً، ويستطيع المؤدي من خلاله توصيل مشاعر الإعجاب أو السرور أو الدهشة أو الحزن

وكل ذلك بواسطة قوة الكلمة التي تتخذ من طريقة الأداء قوة التأثير. فـ"غناوة العلم" لا تتعدى كلماتها السبعة كلمات، ولكنها تخبر بما يمكن أن يملأ صفحات، و"الشتاوة" يداعب إيقاعها الأسماع معبرة عن حالة وجدانية تلقائية، أما "المجرودة" فهي فن شعري غنائي قصصي أحياناً، تأملي يطرح فكراً وأحكاماً أحياناً أخرى، يتنوع في التناول بين الفخر والغزل والفروسية والزهد. وسوف نشير في مقالات أخرى إلى نماذج من مناسبات الفن الشعبي المتمثل في الكلمة، ذلك أن البدوي يعي تماماً أن "لكل مقام مقال". كما تجدر الإشارة إلى الأشكال العامة لموضوعات الفنون القولية وتأثير البيئة على تكوينها، وهو أمر بالغ الأهمية يوضح ويؤكد الخصوصية الثقافية للجماعة الشعبية القاطنة في صحراء غرب مصر، والله من وراء القصد.

ولعل من أهم خصوصيات المجتمع الأصلي الثقافية خصوصية اللهجة واعتزاز ذلك المجتمع بفنونه القولية
– وإن كان يُخشى على هذه الخصوصية أنها تأثرت كثيراً بأساليب العرض الأخرى الدخيلة والمتوسلة بأدوات مساعدة حديثة لا تمت للأصل الشعبي بصلة، كما سيتضح فيما بعد.

ويمكن تصنيف الفنون القولية الدارجة في المجتمع المطروحي في ستة أنواع هي:

1. غناوة العلم
2. المجرودة
3. الشتاوة
4. الطق
5. ضمة القشة
6. قول الأجواد

وتجدر الإشارة إلى أن النوع الأخير يتسم بالرقي ولا ينتمي إلى الغناء بصلة كما سنعرض لاحقاً. ولكن تجدر الإشارة إلى أن إدراج كل تلك الأنواع تحت مسمى (الفنون القولية) هو الأقرب إلى الصواب - من وجهة نظرنا – حتى وإن أُدخلت بعض الآلات الموسيقية عند عرضها، إلا أن الأمر مازال يعتمد على قوة الكلمة وما تُحدثه من تأثير على السامع؛ فقوة الكلمة يتضاءل أمامها أي قوة موسيقية أخرى، بل أن إيقاع الكلمة الذاتي هو الذي يُكسبها لحناً موسيقياً يزيدها جمالاً وتأثيراً. ونرى أن الاستعانة بالآلات الموسيقية وإصرار البعض على إقحام الحديث عنها في الفنون القولية البدوية يضع الباحث في حيرة: أهي أغانٍ شعبية؟ أم مجرد أغنيات جماهيرية لها خصوصية اختلاف اللهجة وكفى!!

على أية حال، قد تتضح الإجابة في توضيح التصنيفات الستة المشار إليها آنفاً:

أولاً: غناوة العلم:-

تتمتع "غناوة العلم" بعدة خصائص تجعل دراستها ورصدها أمراً حتمياً وضرورياً لكل باحث في فنون بدو الساحل الشمالي الغربي لمصر؛ فهي تعبر عن مشاعر قائلها أو مؤديها - وهو في نفس الوقت مؤلفها أو مرتجلها في أغلب الأحيان – أبلغ وأقصر تعبير، فهي لا تتعدى السبع كلمات ولا تقل عن ست كلمات. ويقابل "غناوة العلم" في ثقافات مصرية أخرى فن "الموال" ولكن بحجم أكبر في عدد مفرداته، وقد يبدو أسهل في فهم مفرداته لتداول لهجته وانتشارها.

وليس كل من عرف "غناوة العلم" له القدرة على إلقائها أو أدائها أداءً فنياً مؤثراً، ورغم أن مدة إلقاء "غناوة

العلم" تقل كثيراً عن "الموال"، إلا أن لها بلاغة وحكمة وقوة تأثير الموال. ومن أمثلة "غناوة العلم" قول المؤدي:

"الصبر ما قضى حاجات.. عقاب عمرنا راح في الرجا"

والكلمات هنا مليئة باليأس والتشاؤم والحزن على ضياع عمر قائلها سعياً وراء أمل لم يتحقق.

وآخر يقول:

"العيشة ماغير عذاب.. العقل لو شرا الموت خيرله"

وواضح هنا أن الرجل يتمنى الموت راحةً من حياة في بؤس وعذاب، وهو غالباً شقاء ناتج عن هجر أو رحيل وفراق.

وذلك الذي يصف هجر الحبيب كالكسر المضاعف في العظم فشل الأطباء في جبره فيقول:

"غلا عزيز كسره قند،،، جبّاره بكا قال أيّسو!!!"

وهناك الآلاف من "غناوي العلم" التي يتناقلها الناس في مختلف المناسبات، وكلها مجهولة المؤلف، وتلك تعد أهم وأبرز سمات الشعبية؛ لأنها نابعة عن وجدان ومعاناة حقيقية.

ثانياً: المجرودة:-

تعتبر "المجرودة" من أجمل وأمتع أشكال الفنون القولية، وهي عبارة عن قصة شعرية تُلقى بترتيب

درامي مُقفّى، وتتناول مختلف الموضوعات، من فخر وبطولة ومغامرات ورحلات وقصص عاطفية. ونرى أن "المجرودة" في شكلها الرئيس تعتبر نوعاً من أنواع السيّر الشعبية، ولا تختلف إلا في طريقة الإلقاء، حيث يتفاعل المستمعون مع الراوي ويرددون الشطر الثاني من كل بيت من أبيات "المجرودة"، ولا يستعينون بأي أدوات أو آلات مصاحبة، وإنما

حيث تتركز حواس ومشاعر السامع مع كلمات الراوي، أو نقول هنا المؤدي. وتنتهي "المجرودة" عادةً ببيت شعري مكون من شطرتين، ويكمن في ذلك البيت ملخص بارع للحكمة أو المعنى المستفاد، وربما خلاصة "المجرودة"، وهذا البيت يسمى (شتاوة)، وهو بيت تختلف قافيته عن قافية "المجرودة"، وذلك الاختلاف يجعل من "الشتاوة" فناً شعرياً منفصلاً تستخدمه النساء أيضاً في الأفراح، كما سنشير إلى ذلك لاحقاً. ولا تسمح المساحة هنا لعرض "مجرودة" قد تصل أبياتها إلى عشرات الأبيات، ولكن نضرب مثالاً لطريقة أدائها، كأن يقول المؤدي: "زينة يا زينة مرحبتين.. أهلاً يا زينة ياللي جيتي شرفتينا ((ياللي حد حدود الزين))" فيردد الحضور مع التصفيق: "ياللي حد حدود الزين" . وننوه هنا إلى أن تلك كلمات موظفة فنياً في عروض لفرقة الفنون الشعبية بمطروح، وإنما ضربنا بها المثل لسهولة فهمها وفهم معانيها، وأيضاً لتأكيد إمكانية توظيف وعرض الأدب الشعبي البدوي بشكل أكثر بساطة وتوضيحاً. ومن أشهر وأهم المحاولات في هذا الشأن ما قدمه الفنان علي حميدة رحمه الله، الذي لاقت أعماله نجاحاً (جماهيرياً) ليصبح أول فنان شعبي بدوي من الصحراء الغربية متحقق جماهيرياً.

ثالثاً: الشتاوة:-

"التاكسي اللي جاي م الحمام... عليه اخميسة من قدام!!!!!"

"شتاوة"، ربما تكون من أكثر ما قيل تافهةً من حيث المعنى، ولكنها لاقت شهرة كبيرة لا يبررها سوى تقديمها جماهيرياً في فيلم سينمائي، وهذا يؤكد موضوع التوظيف وفن العرض، ولذلك حديث مستقل ربما نستطيع الخوض فيه فيما بعد بإذن الله. ولكن ما يهمنا هنا هو عرض لما يسمى بـ"الشتاوة" كفن قولي معبر من الفنون الشعبية المعتبرة؛ فهو كما ذكرنا آنفاً عبارة عن بيت شعري مكون من

رجلاً كان أم امرأة. وبالنسبة للرجال، يكون دائماً ختام "المجرودة" بـ"شتاوة"، كأن يقول المؤدي:

"دموعي ودموع الغالي ******* تلاقن دارن سيل قوي"

وغالباً تتردد "الشتاوة" في احتفالات النساء، كمناسبة حنة العروس مثلاً، وتتميز موضوعات كلماتها بالطابع الأنثوي الخفيف والضاحك والساخر أحياناً، كقول إحداهن:

"يبرم ويجينا من قبلة ******* داير عيت خواله سبلة"

ولا يعيب جمال وخفة ظل هذه إلا غرابة اللهجة وصعوبة فهم معانيها بالنسبة لغير الناطقين بها، وهي مهمة مثقفي البادية الصعبة!!!

ولعل من الأهمية بمكان أن نشير إلى طريقة أداء "الشتاوة"، فهي عند الرجال تؤدى على إيقاع الصقفة، بأن يقول المؤدي البيت الشعري ذو الشطرين لأول مرة، ثم يعيد إلقاء الشطر الأول ليرد عليه باقي الحضور بالشطر الثاني. ويختلف أداء النساء في ذلك باستخدام آلة إيقاع وليس التصفيق بالأكف، وعلى إيقاع الطبلة غالباً يكون "الحجيل" أو الرقص الذي تشارك فيه كل الموجودات من كل الأعمار.

رابعاً: الطق:-

من الفنون المحببة كثيراً إلى ذوق وميول البدوي، ولا تشترك في أدائه آلات موسيقية. وهو عبارة عن قصيدة شعرية مُقفّاة يتم إلقاؤها بإيقاع النقر بأعواد خشبية (حطب)، نقراً منتظماً (ثلاث نقرات: طق طق طق) على مائدة مستديرة غالباً أو ما نسميه "طبلية"، ويتحلق حولها المؤدي وبقية الحضور الذين يشكلون ما يعرف لدى الموسيقيين بالكورس. وموضوعات القصائد المؤداة على نقرات الأعواد الخشبية متعددة، قد تتناول أي جانب من جوانب الحياة حتى اليومية وتجارب المؤدي الشخصية، حيث أنه مؤلفها غالباً. ولسنا بحاجة إلا أن تلك المحاولات لا تؤثر على قوة فن "الطق" كفن قولي شعري وليس مجرد غناء؛ فنحن هنا بصدد قصائد شعرية تلتزم بإيقاع واحد بصرف النظر عن موضوع القصيدة أو مؤديها، ولا ضرورة إطلاقاً لإقحام أي آلات مساعدة لتنفيذ ذلك الأداء، ودور الأعواد الخشبية هنا لمجرد ضبط إيقاع الأداء في توقيت واحد يلتزم به الكورال.

خامساً: ضمة القشة:-

يمكن إدراج شعر "ضمة القشة" – مجازاً - تحت اسم (أغاني العمل)؛ ذلك أن مناسبات أدائها غالباً ما تكون في مواسم الحصاد والجَلاَّمة (وهي جز أصواف الأغنام) أو أي عمل جماعي. ومن المعروف أن الغناء الجماعي يحفز العمال ويزيد من حماستهم في إنهاء وإنجاز أعمالهم في كل المجتمعات بمختلف الثقافات. والثابت أن هناك أغاني للفلاحين، وأخرى لعمال التراحيل، وثالثة لعمال البناء الذين يطلق عليهم (الفواعلية)، ورابعة للصيادين، وخامسة للبمبوطية.. إلخ. وتجدر الإشارة إلى أن أغاني العمل تكون بتفاعل كل المشاركين في العمل الجماعي، بصرف النظر عن مراحلهم العمرية، التي يختلف الوضع فيها عند أداء أشعار أخرى كـ"الشتاوة" أو "غناوة العلم" التي لا يصح أن يؤديها شاب في وجود والده أو عمه أو جده.

وتسمى هذه الأشعار بـ"ضمة القشة" لأن المؤدي يجلس واضعاً يده اليسرى على خده، ويحرك بيده اليمنى قشة طرفها على الأرض في التراب حركة دائرية بشكل منتظم، يحافظ على إيقاع الكلمة عند المؤدي (وهي الأوزان في شعر الفصحى).

أما موضوعاتها، فهي غالباً ذات علاقة بنوع العمل المؤدى في هذا التجمع، سواء حصاد أو جَلاَّمة.

همهمة
مجلة كل العرب

سادساً: قول الأجواد:-

أقوى وأرقى أنواع الفنون القولية التي تؤدى بأسلوب شعري إيقاعي، ولكنها في الحقيقة لا تندرج تحت مسمى "شعبية"؛ حيث يغيب عنها شرط أساسي وهو مجهولية المؤلف، فهي قصائد يتبارى الشعراء في إلقائها، ومن الجائز أن يرد الشاعر على نظير له بقصيدة أقوى، وهكذا.

ولا يصح إغفال أغاني "المُحاجاة"، وهو غناء الأم لوليدها والجدة لأحفادها خلال مداعباتهم أو محاولة لتنويمهم، وهي عبارة عن أبيات شعرية بسيطة ورائعة في معانيها، كقول إحداهن لابنتها الصغيرة:
"كبرتي لأمك خيرك جا ****** الله ما يقطع فيك رجا"
وقول أخرى لوليدها:
"مغير أكبر يا وليدي بس ****** ونا نجيبلك عدة وفرس" (يلاحظ هنا استخدام مفردات تعبر عن الفروسية وحلم الأم في رفع شأن وهمة طفلها). وهناك المئات من مثل تلك الأغاني رائعة المعاني قام الباحث بجمعها وتحليل معانيها لارتباطها بالبيئة والثقافة المحلية.
على أية حال، فإن اعتماد المؤدي البدوي على إيقاع الكلمة الموزونة وقوة معانيها يقوم مقام الأغاني الشعبية المتوسلة بالآلات الموسيقية والتلحين، ليصل بالمستمع أو المتلقي إلى التأثير الذي تقدمه الموسيقى بالآلات، وربما أكثر قوة.

————

همتنا
مجلة كل العرب

ذكريات من زمن فات ..

الكـــاروزة

في شوارع مطروح

لكل بلد من البلاد مظهره وطابعة التراثي والفلكلوري المميز فيما يتعلق بطراز البناء والملبس والطعام والعادات والتقاليد وصولاً إلى وسائل النقل، وحين نتحدث عن محافظة مرسى مطروح ومصيفها الذي ارتبط بذاكرة المصيفين، تبرز "الكارتة" أو "الكاروزة" التي كانت "ملكة الطريق" بلا منازع في شوارع مطروح، وأكثر وسائل المواصلات شهرة في المحافظة الساحلية الساحرة.



أ.عبد الله لعشيبي
مدير الاثار بمطروح

همتنا
مجلة كل العرب









.
كانت «الكارتة» أو «الكاروزة» أقدم وسيلة مواصلات بمطروح، وباتت مع الوقت رمزًا لتنشيط السياحة بها، لقد كانت تمثل فس حة بسيطة بمقابل مادي صغير، تبعث البهجة في نفوس راكبيها وتناسب تمامًا أجواء المصايف للتنقل"، ومتعة حقيقية يسعد بها مصطافو مطروح خلال زيارتهم للمدينة.
لقد كانت «الكارتة» أو « الكاروزة» أقدم وسيلة مواصلات للتنزه في مطروح، حيث تحمل على متنها الأسرة للسير على كورنيش مطروح، ليعيش عشاق مطروح أجواء سياحية جميلة ومبهجة، يجوبون المناطق السياحية، في أجواء فلكلورية شعبية.

وسمح رؤساء مجلس مدينة مرسي مطروح علي مدار السنوات بتشغيل الكارتة لتنشيط السياحة في مطروح، لحب زوار مطروح لها من زمن طويل، وتحولت من وسيلة مواصلات قديمة إلى وسيلة ترفيهية يجرى التنزه والإستمتاع بها على كورنيش مطروح.

وللكارتة صيفًا خطوط سير معتمدة، حيث تنطلق الكارتة على الكورنيش من أمام ميدان المشير أحمد بدوي، وتتجول بمصطافي مرسى مطروح إلى منطقة البوسيت، ومنطقة المضيفة، وسيدي العوام، وتسير في بعض مناطق الكورنيش ليشاهد من خلالها الزائرين المناطق السياحية والمحلات التجارية والفنادق، ويستمتعون بركوب هذه الوسيلة

الكاروزة في شوارع مطروح

مجلة كل العرب

البدائية الجميلة، فهي تمثل متعة حقيقية يعيش أجواؤها الزوار خلال قضاء إجازة المصيف في مرسى مطروح.
وتعد "الكارتة" وسيلة المواصلات الترفيهية على كورنيش مدينة مطروح، وأصبحت تحتل مركز الصدارة في عملية الانتقال بين المناطق المتفرقة والشواطئ القريبة مثل روميل والبوسيت والليدو.

وتعد "الكارتة" وسيلة مواصلات بسيطة تستخدم لنقل الأفراد والأسر الصغيرة من مكان إلى آخر، حيث تجرها الحمير وتصنع من الخشب، عدا الهيكل والأعمدة من معدن الحديد، حيث تسير على إطارين من إطارات السيارات القديمة، وقوامها 4 أعمدة من المواسير قطر بوصة واحدة، وعددًا من الزوايا الحديدية التي ترص عليها ألواح من الخشب الصغيرة.
كما يتضمن تركيبها فتحة صغيرة من الخلف يركب منها الأفراد، وحمولتها نحو 6 أفراد، يجلسون على مقعدين من الخشب تكسوهما وسائد من القش أو أي مادة لينة.

وبالرغم من حدوث تطورات عديدة وسريعة في عالم وسائل النقل، إلا أن صناعتها لا زالت موجودة ولكن بشكل ضئيل.
ومع ظهور وسائل نقل ومواصلات حديثة بمطروح، إلا أن الكارتة كانت ولا زالت لها مظهرها الخاص ومتعتها المختلفة، ويقبل عليها رواد المحافظة، كما أن المصطافين يعشقون التجول في المحافظة من خلالها لأنها قليلة التكاليف، .

وتحسب تكلفة المشوار بحسب المسافة التي يذهب إليها المصيف، بجانب أنها وسيلة ترفيهية يعشقها الجميع
كان أول ظهور للكارتة بشكلها الحالى في سنه 1957م، حيث كانت أول كارتة ملكًا لعائلة "أبو شناف"، والثانيه يملكها المرحوم "فرج الصنقري"، وهذه الكارتة هي التي شاركت في فيلم "أغلي من حياتي" بطولة صلاح ذو الفقار وشادية، والذى صُور فى مرسي مطروح وهو فيلم مصري تم إنتاجه عام 1965م، من إخراج محمود ذو الفقار، وهو مقتبس عن فيلم "الشارع الخلفي" لفاني هيرست، ولا تزال الجماهير تحفظ العبارة الشهيرة التـ ي كا ن يردده ا بطلا الفيا م (أحمد.. منى)..
كانت «الكاروزة» هى النموذج البدائي من الكارتة، وكانت بدون سقف، و«الكاروزة» كلمة إيطالية معناها العربة التى يجريها الحمار، وكانت تمثل وسيلة المواصلات العامة الوحيدة في مطروح لنقل الأفراد والبضائع ومياة الشرب والوقود (عربات الجاز)، وذلك عندما كان اسم مطروح محافظة (الصحراء الغربية).
وبدات شهرة «الكاروزة» التى يجرها الحمار تتطور فكرتها إلى أن أصبحت أكثر من مجرد وسيلة مواصلات، حيث باتت مصدرًا للرزق لكثير من أهل مطروح، وفرصة عمل للشباب صيفًا عندما وجدوا المصطافين يحبون ركوبها ويستخدمونها كنزهة على شاطئ الكورنيش بمطروح.
وبدأت تتطور الفكرة ووجدت اهتمامًا اكثر من حيث الشكل والزخرفة، وتم عمل سقف لها، وكانت مصدرًا لدخل لكثير من بيوت مطروح، بالإضافة لأهميتها كوسيلة انتقال خاصة لكل أهالى مطروح

الكاروزة في شوارع مطروح

همنا
مجلة كل العرب

واشتهرت مطروح في أوائل السبعينيات بالكارتة، وأطلق عليها هذا الاسم عن طريق المصطافين فيما بعد عندما أصبحت الكارتة من أساسيات جولاتهم داخل المدينة وأستغلها أصحابها في الشتاء كوسيلة مواصلات أساسية داخل المدينة لأهل المحافظة؛ لعدم
وجود تاكسى أو أى وسيلة أخرى للتنقل، فكانت هي الوسيلة الرسمية والوحيدة لقضاء المشاوير والزيارات والتسوق وشراء ما تتطلبه الأسر والعودة إلى المنزل.

ومن هنا جاءت فكرة أن تكون الكارتة أو «الكاروزة» أحد مظاهر الموروث الفلكلورى المطروحي لأي زائر حتى الأجانب، وبدأت الفنادق تخصص الكارتة باسم الفندق كدعاية له، وتشغيل مجموعة منها لنقل نزلاؤها وعمل برنامج ترفيهي من خلال الكارتة؛ ليشاهدوا معالم مطروح والتنزه على امتداد كورنيش مطروح، والذهاب بها لسوق ليبيا والعودة للفندق، وبالطبع عملت الكارتة بشكل كبير على إحداث طفرة في السياحة في مطروح، وكان العيب الوحيد فيها الفضلات اللي كانت تسقط من (الحمير) أثناء السير، وبقيت طوال الثمانينات والتسعينيات من القرن الماضي ومع بداية الألفية الثانية حتى مجئ الفريق

محمد الشحات محافظًا لمطروح والذى أصدر قرارا بعدم تجولها على الكورنيش، وتوالت القرارات بتقليص دورها السياحي داخل المدينة وساعد في القضاء على فكرة الكارتة دخول التاكسي حتى قاربت على الإندثار بشكل كبير، إلا أن هناك القليل منها صمد وظل يعمل حتى الآن، ومن شهرتها التى وصلت لجميع المحافظات،

قررت أحد الفنادق وضعها كمجسم صغير أمام مدخل الفندق لجذب انتباه المارين والنزلاء فى أهم شوارع مدينة مرسى مطروح وهو شارع إسكندرية بجوار ديوان عام المحافظة.



الكاروزة في شوارع مطروح

همزة
مجلة كل العرب

من كتاب



الفصل السابع

الواحات المفقودة

الكتاب هو رحلة إستكشافية محفوفة بالمخاطر في الصحراء المصرية الليبية ، أدت الى إكتشاف واحات جديدة .





تأليف الرحالة الجغرافي

أحمد حسنين باشا



تقديم

عصمت ضيف الله الملهطاني

هلننا
مجلة كل العرب

الولائم و الأدوية

أظهر الزعماء السنوسيون دلائل كثيرة على كرمهم، وساروا على سُنَّة البدو في إظهار ذلك، تبعًا لمكانة رب البيت والضيف، ووفقًا للظر وف ومناسباته ا. فالمسافر إذا حل بواحة أو بلدة في الصحراء، كان معه رجال قافلته وما يحتاج إليه من ضرورات العيش، ولا ينزل ذلك المسافر في فندق أو في دار صديق، وإنما يتخذ لنفسه مقامًا منفردًا، فينصب خيامه ويقيم فيها، أو يسكن في دار تُوضَع تحت تصرفه، كما حدث لي في الجغبوب وجالو والكفرة.

فإذا حل ضيف المدينة، أظهر كبراؤها كرم الضيافة نحوه، فدعوه إلى تناول الغداء أو العشاء في منازلهم، أو أرسلوا إليه الطعام إلى خيامه أو داره. وسأفيض في وصف كرم البدو إذا دعوا أحدًا إلى منازلهم عند الكلام عن إقامتي في جالو؛ فقد دعاني في هذه المدينة زهاء خمسة عشر وجيهاً من وجوهها. أما في الجغبوب، فقد أبدوا لي ذلك الكرم بإرسال ألوان الطعام إلى داري. وقد تمتد ضيافة البدوي لضيفه ثلاثة أيام أو سبعًا، تبعًا لمنزلة الرجلين.

وقد حدث بعد وصولي الجغبوب ببضعة أيام، أن تفضل فتيان في الثالثة عشرة والخامسة عشرة من عمرهما، وهما سيدي إبراهيم وسيدي محيي الدين - أصغر أبناء السيد أحمد المقيم الآن بالحجاز، والذي كان الوصي على السيد إدريس - فأظهرا نحوي من دلائل الكرم م ا تر ك لهم ا ف ي خاطر ي أجم ل ذكرى. فقد وصل إلى داري بدوي ومعه عبدان ينوءان تحت عبء الأطعمة، ونثرا أمامي صحون الطعام المتنوع، فوجدتني مضطرًا إلى تذوق ما لا يقلعن عشرين صنفًا، وجلس ممثل ضيفي بأدب واحتشام، لا يمتد يده إلى شيء بينما أصبت قليلاً من كل صحفة

وظل يشرف على تقديم ما يجعلني راضيًا ويسامرني أثناء تناولي الطعام. وهذا البدوي من قبيلة البراعصة في صحراء ليبيا، التي اشتهر رجالها بأنهم الطبقة الراقية لأهل الصحراء، وامتازوا بطول القامة وجمال الخلقة وعزة النفس والشجاعة؛ فإن البراعصي لايحجم عن مقابلة الإهانة بالسيف ولو انفرد بين رجال قبيلة بأسرها.

جلست أتناول الطعام ترعاني عين هذا البدوي ويخدمني العبدان، ولست أدري لكثرة ماقُدِّم إن كان في إمكاني أن أذكر الألوان الشهية التي ملأت المائدة، ولكني أذكر أن ذلك لم يخلُ من جميع أصناف اللحم والخضروات والفطائر.

واللحم من أهم أنواع طعام البدوي،وأخصه لحم الخراف، وهو قوام حياة البدوي إذا لم يكن مسافرًا. ولا تكمل ضيافة البدوي لنزيله إلا بتقديم اللحوم التي أُحضرت خصيصًا له. فإذا أراد البدوي أن يدعو أحدًا لتناول الطعام، نحر له شاة، والعادة أن لا يُجهز شيء أو يُذبح ذبيحة حتى يحضر الضيف فيرى بنفسه أن كل شيء قد أُعِدَّ له وحده. وربما طلب رب الدار من ضيفه سكينًا يذبح بها الشاة، حتى يؤكد له أنه يقوم نحوه بكل أنواع الإكرام.

وإنما يبين كرم البدوي في كثرة ألوان الأطعمة التي يقدمها لضيفه، فإن الطعام في الصحراء أهم مظاهر الكرم، وهو في تلك الأصقاع الساذجة كل ما يتحدث به الناس. ولم تخلُ إقامتي في الجغبوب من حادثتين أبانتا لي أن الشرق والغرب، على كثرة ما بينهما من اختلاف، متفقان اتِّفاقًا ظريفًا في بعض الميول. وأولى هاتين الحادثتين فكَهة، والثانية لا تخلو من عاطفة تشوبها فكاهة. كنت قد أمرت رجالي أن لا يردوا أحدًا يقصدني طالبًا دواء، فجاءني أحد الإخوان السنوسيين يطلب دواء لسعاله، فأعطيته زجاجة من الشراب الخاص بمداواة السعال. وجاءني بعد يومين قائلاً إن الجرعات الأولى التي تناولها أفادته فائدة عظيمة دفعته إلى إفراغ ما في الزجاجة، وسألني أن أعطيه زجاجة أخرى ثم انصرف. وكان عبد الله حاضِرًا،فالتفت إليَّ وقال هازئًا: "لا عجب إذا طلب سيدي الإخواني زجاجة أخرى؛ فإن الشراب شهي لذيذ، وإنه ليشربه متلذذًا بطعمه لا متداويًا". وأظن أن عبد الله كان مصيبًا في تعبيره، فطالما لاحظت أثناء إقامتي بإنجلترا أن الأطفال يؤكدون لآبائهم فتك السعال بهم وإن برئوا منه، وإنما يدفعهم إلى ذلك حلاوة الدواء وطيب مذاقه.

وقد اعتاد رجالي أن يفخروا أمام البدو بأني أحمل في حوائجي الدواء لكل علة، فجاءني فتى تحت تأثير تابعي أحمد يسألني شيئًا يداوي به جارية من السهو والنسيان، فكان جوابي على ذلك: إني رأيت بعد تجاربي العديدة في كثير من الممالك، أن منع الخدم من النسيان لا يقل صعوبة عن منع الماء من الغوص في الرمال.

أما الحادثة الثانية فكان بطلاها يختلفان كل الاختلاف: جاءني عبد أحد الإخوان يستشيرني في شيء كلفه سيده بعرضه عليَّ؛ لأنه لا يجمل به أن يسره إليَّ شخصيًا؛ فإن آداب البدو تقضي أن لا يذكر إنسان زوجه أمام غيره، بل أن لا يذكر سيدة لا يعرفها المتحدثان. أما العبد فيمكنه أن يقول ما تأبى كرامة السيد التصريح به. جاءني ذلك الخادم فقال: "إن زوج سيدي عاقر، وإن ذلك يؤلم بعلها كثيرًا، وإن سيده واثق أن إزالة ذلك العقم لابد في استعمال الأدوية التي أحملها من عجائب علم الغرب".

وما كاد يتم حديثه حتى عادت بي الذكرى إلى أيامي الأخيرة في أكسفورد؛ فذكرت خادمًا في الجامعة، كان لطيف العشرة ولكن شديد الحياء. جاءني ذلك الخادم ذات يوم وكنت أهيئ أسباب عودتي إلى مصر، وبعد أن استجمع كل جرأته للجهر بما يضمر، سألني هذا السؤال: "إذا سمحت يا سيدي أن أسأل فضلك، أفضيت إليك بحاجة لي: إن زوجي عاقر،والطبيب عاجز عن مداواتها وليس لديه ما يقترحه، فإذا عدت يا سيدي إلى بلدك الذي سمعت أنه يحوي طلاسم عجيبة تؤثر في كل شيء، فتنازل بالبحث لي عن طلسم للحبل،وأرسله عسى أن يرزقنا الله ولدًا. ولستُ أكتمك يا سيدي أني لا أعتقد بالسحر، ولكن الحيل ضاقت بي في سبيل هذا الأمر". ولم يسعني، وقد رأيت انشغال باله وكشفه لي عن بنات صدره، إلا أن أجيبه بجد وعطف أني سأفعل ما أنا قادر عليه. ولم تدعني الحاجة بعد ذلك إلى البحث عن طلبته؛ لأنه مات قبل أن أعود إلى أكسفورد، تاركًا وراءه ذكرى طيبة بين طلبة كلية "بليول". ذكرت كل هذا وعبد ذلك الإخواني منتظر، ولكني لم أسعَ أن أبطئ في إعطائه ما طلب إليه سيده، وأتيحت لي فكرة للخروج من هذا المأزق، فأعطيت الخادم نصف زجاجة أقراص اللبن المركز، وأمرته أن يجعل السيدة تتناول ثلاث حبات منها حتى تنفرج الأزمة، وانصرف الخادم. ففكرت في المقابلة الغريبة بين هاتين الحادثتين: فهناك في أكسفورد أهاب علم الغرب بقوة الشرق الروحية، وقد أعوزت تجاريبه السبل في إيجاد دواء للحمل. وهنا في الجغبوب طلب الشرق مساعدة العلم الغربي بعدأن ضاقت به الحيل في العلوم الروحانية. وهكذا يظل الشرق والغرب معتقدين في قوة المجهول العجيبة.

وطالت عليَّ الإقامة في الجغبوب، ولكن عيشتي الهادئة وتمتعي بلطف البدو وبشاشتهم لم يُنسياني التفكير في أمر الإبل؛ فبعثت الرسل إلى جميع النواحي المجاورة في طلبها،وزدت مبلغ الأجر لأصحابها، ولكني لم أظفر بطائل. وسألت السيد حسينًا مساعدتي،ولكنه أقر لي بعجزه عن عمل أي خدمة لي. وأرسلت رسولاً إلى سيده يحمل إشارة برقية إلى السيد إدريس في مصر، أعلمه فيه بحيرتي وأسأله المساعدة؛ فجاءني الرد منه بأسرع مما كنت أتوقع، طالبًا إلى السيد حسين أن يقدم لي ما في طوقه من المساعدة، ولكن السبل كانت مسدودة.

هنا
مجلة كل العرب

وأخيرًا، وقد سدت منافذ الأمل، وصلت قافلة من قبيلة "زوي" كانت قد تركت جالو إلى سيوة في طلب البلح، فأردت تأجير إبل القافلة، ولكن أصحابها لم يرغبوا في العودة بدون البلح الذي قصدوا استجلابه. غير أني وجدت في آخر الأمر طريقة لحملهم على النزول عن جمالهم، فأعلمتهم بواسطة سيدي حسين أن الأوامر صدرت من الحكومة المصرية بمنع رجال قبيلة زوي من الدخول في الأراضي المصرية حتى ينحسم النزاع بينهم وبين أولا دعلي المقيمين في مصر، ذلك النزاع الذي نشأ عن ثأر متحكم بين رجال القبيلتين منذ بضع سنين.

ورأى رجال القافلة أن التقدم إلى مصر غير ميسور خوف العقاب، فلم يبقَ أمامهم وقد حُجِزوا في الجغبوب إلا العودة من حيث أتوا، فكان ذلك ما قصدت. وساعدني على رضائهم بتأجير إبلهم: إخبارهم بأوامر الحكومة المصرية، وكتاب السيد إدريس، واستمالة السيد حسين لهم، ووعدي بإعطاء أجر باهظ جروني إليه لاحتياجي إلى جمالهم.

وانتهت تلك الأيام السعيدة التي قضيتها تحت ظلال القبة البيضاء. وانقضت كذلك أيام الهدوء والتفكير والتأمل في ظل القبة البيضاء، وأيام القلق للرغبة في السفر والبحث عن مُمَهِّداته. فأدرت وجهي إلى الغرب قاصدًا جالو في ٢٢ فبراير، بعد أن أقمت في الجغبوب٣٤ يومًا كاملة.

